المشرق

كتاب الذهب

او القرن المئوي للجمعية العلمية المصرية

للاب لويس شيخو اليسوعي

في ٢ ك ١ من السنة ١٨٩٨ عقد اعضاء الجمعيَّة العلميَّة في مصر حفلة شائقة حضرها عدد غفير من اعيان القاهرة وادبائها الوطنيين والاجانب. وذلك بنسبة مرور قرنٍ تامّ على انشاء نابوليون لجمعيَّة مصر (l' Institut d' Egypte). وكان لهذه الحفلة وقعٌ طيّب في قلوب كلّ من يهمّهم نجاح القطر المصريّ واحياء مآثره

على انّ اعضاء الجمعيَّة الحالية لم يشاؤوا ان يبرح تذكار ذلك اليوم المشهود من قلوب الحضور فاتّفقوا على ان يخلّدوا ذكرهُ بوضع كتابٍ يدوّنون فيه ملخّص اعمال جمعيّتهم منذ نشأتها الى هذه الغاية. واليوم قد خرج هذا المشروع الى حيز الفعل فأهدينا نسخة من الكتاب المذكور وعنوانهُ «كتاب الذهب الذي قام بنشرهِ اعضاء الجمعيَّة العلميَّة المصريَّة بنسبة القرن المئوي لانشاء مكتب مصر» (١

وهذا الاثر الجليل قد طُبع باللغة الافرنسيَّة وهو عبارة عن ١٩٠ صفحة يُقسم الى فصول عديدة اهمّها الخطب التي القاها تسعة من اعضاء المجمع العلمي يوم الحفلة العموميَّة ثمَّ يليها جدول اسماء آل المجمع منذ نشأتهِ مع قائمة منفصلة وضعها المسيو ڤيدال (Vidal) بيَّن فيها كلّ المآثر الادبيَّة التي ابرزها علماء الجمعيَّة المذكورة سواءٌ نُشرت في

١) Le Livre d'Or de l'Institut égyptien, *publié à l'occasion du Centenaire de la fondation de l'Institut d'Egypte*, Le Mans, 1899

مجلّتها او لم تُنشر فاحببنا ان نستلخص لقرّاء مجلّتنا لُباب فوائدها ونحن على يقين انهم يتلقّون هذه اللمعة بمزيد السرور ولعلّها تحرّك في قلوب ادباء الشام غيرة المنافسة ليتقصّوا في بلادهم آثار اخوتهم المصريين مع ما في القطر السوري من الآثار الجليلة التي لا تقلّ شأنًا عن مجمل الآثار المصريّة. كيف لا وقد ابقى الشعوب الاقدمين في اصقاعنا آثارًا يعزّ وجود مثلها في غيرها من الاقطار كآثار الاشوريين والفينيقيين والحثّيين واليونان والرومان والعرب واكثرها لا يزال مطمورًا في اعماق الارض وهو ينتظر يدًا نشيطة على العمل تنشرهُ الى عالم الاحياء

وقد قسمنا هذه النبذة الى قسمين نذكر في الاول خلاصة تاريخ المجمع العلمي المصري وفي الثاني الخدم الجليلة التي ادّاها اعضاؤهُ لتقدّم العلوم وترقّي الوطن

١

خلاصة تاريخ المجمع العلمي المصريّ

كانت مصر القديمة مع ما فيها من بقايا الدول العظمى التي استولت عليها في القرون الخالية مضّجعة في زوايا الخمول لا يعرف العلماء من امرها غير ما اطلعتهم عليه بعض اسفار الرحّالين الذين كانوا يدخلون هذا القطر فيكتفون بذكر بعض مدنهِ وآثاره الظاهرة لكل العيان كالاهرام وعمود السواري في الاسكندريّة والمسلّات الشهيرة ولا تكاد تجد خلاف ذلك في كتبهم. وكثيرًا ما كانوا ينقلون عن قدماء اليونان ما كتبوهُ دون ان يتحقّقوا صحّة اقوالهم ويفرزوا الغثّ من السمين واذا صوّروا شيئًا من آثار المصريين طمسوا محاسنهُ واذهبوا رونقهُ حتى انهم لم يُبقوا من خواصهِ العجيبة ذرّة

هذا ولمّا دخل نابوليون بونابارت بعساكرهِ في ارض الفراعنة كان استصحب معهُ قومًا من العلماء الفرنسيين فوكل اليهم ان يطوفوا القطر المصريّ ويصفوا وصفًا مدقّقًا كلّ ما يجدونهُ من الآثار والعاديّات مع رسم صورها. وهذه الجمعيّة الاولى عقدها نابوليون في ٢٢ آب سنة ١٧٩٨ ودعاها باسم المكتب المصري (l'Institut d'Egypte) وهي التي ينتمي اليها اعضاء الجمعيّة العلميّة المصريّة الحاليّة

والحقّ يقال انّ هذه الجمعيّة الاولى قامت بالشؤون الموكولة اليها احسن قيام وافرغ اعضاؤها ما لديهم من الوسائل المتعدّدة ليشيدوا للعلوم صرحًا عاليًا جمعوا موادّهُ

المتفرقة في مدة ثلاث سنوات. وما الاثر المذكور الّا كتاب « وصف مصر » وهو التأليف الذي فتح للعلماء عالماً جديداً لم يخطر من ذي قبل على بال أحدهم. وهو عبارة عن عدة مجلدات ضخمة تتضمّن آثار مصر في كلّ الفنون والمعارف كالتاريخ والسياسة والصنائع والآداب والزراعة والهندسة حتى انّ الحيرة تأخذ القارئ لدى اطلاعه على هذه المآثر العجيبة التي استثارها هؤلاء العلماء من مدافن النسيان. ونجز طبع هذا التأليف الجليل سنة ١٨٠٩ فخلّد ذكر اصحابه الذين لم يدّخروا وسعاً ليجعلوه اهلاً بعصر جديد وبأمّة عظمى تُحسن القيام بالاعمال الشريفة (١. ولا تزال اسماء هؤلاء المشاهير ترنّ في نوادي العلوم والآداب منهم مُنج (Monge) وله پار (Lepère) وبرتوله (Berthollet) وجفرو سنت هيلار (Geoffroy S[t] Hilaire) وجومار

لكنّ هذه الجمعيّة بعد انجاز عملها انقطع سلك نظامها ولم يعد العلماء يهتمّون بالمشروعات العظمى التي تقتضي ضمّ قوى الافراد وجمع كلمتهم. وانّما كان بعض العلماء يواصلون ابحاثهم عن العاديات المصريّة وينشرونها عند سنوح الفرصة

وبقيت هذه الحالة الى عهد اوّل امراء مصر محمد علي باشا. فلمّا ضبط هذا الرجل السامي الهمّة عنان التدبير صرف نظرهُ الى كلّ الاعمال الجليلة. وفي ايامه زهت العلوم وخفقت ألوية المعارف فنشّط كلّ المشروعات التي وجد فيها ضامناً لترقّي مصر ونجاحها. وبايعازه نشأت جمعيّة جديدة دُعيت مباشرةً بالجمعية الشرقية ثمّ تسمّت بجمعيّة مصر وكانت غايتها درس الفنون الشرقيّة لاسيما اللغة والآثار. ومن جملة الخدم التي ادّتها هذه الجمعيّة للقطر المصري إنشاؤها خزانة كتب واسعة كانت تجمع كلّ التآليف المعروفة ان خطّيّة وان مطبوعة التي جري فيها البحث عن مصر واحوالها منذ القرون الخالية الى عهدنا. وقد دال الدهر على هذه الجمعيّة فتبدّد شملها ونُقلت كتبها الى الكتبخانة الخديويّة الشهيرة التي تضاهي اليوم اعظم مكاتب العواصم الاوربيّة بمخطوطاتها الشرقيّة

على انّ هذه الجمعيّات كلها مع ما افادت به العلوم المصريّة لم تعش زمناً طويلاً لما طرأ عليها من صروف الزمان. لكنّها كانت كفنات مهّدت السبيل للجمعيّة الحالية ولاعمالها الخطيرة

---

١) وقد جُدّد طبع هذا التأليف الجليل سنة ١٨٢١ في باريس باربعة وعشرين مجلّداً ضخماً

والفضل في ذلك عائد الى محمد سعيد باشا الشهير وكان بعض العلماء في مقدمتهم كونيغ بك (Kœnig Bey) واوغست ماريت عرضوا على سموّه ما ينجم من العوائد الجمّة من انشاء جمعيّة تتفرّغ الى البحث في كلّ فنون الآداب المصريّة والعلوم الوطنيّة . فاجاب سعيد باشا الى سؤلهم بطيب الخاطر وانعم على اعضائها بانعامات وامتيازات استوجبت شكرهم ولذلك صدّروا بصورته الشريفة مُلحقًا ألحقوهُ بكتاب الذهب وجمعوا فيهِ صور رؤساء الجمعية

وكان استئناف هذه الفئة الجديدة في ٦ أيار سنة ١٨٦٩ وعُرفت « بالمكتب المصريّ » . وكان اعضاؤها من جنسيّات مختلفة بيد انهم اتخذوا اللغة الفرنسية للمذاكرة ولنشر اعمالهم التي لم تزل مذ ذاك الحين تبرز في اوقات معلومة . وقد آثرت هذه الجمعية لها شعارًا ضامنًا لتقدّمها ونجاحها وهو : « الاتّحاد والترقّي » . وها قد مرّ على تجديد هذه الجمعيّة اربعون سنة وهي لا تزال باتّفاق كلمة اعضائها ومساعيهم المشكورة تصعد في معارج التقدّم وتُعلي منار العلوم الوطنيّة

وقد ترأّس هذه الجمعيّة منذ سنة ١٨٥٩ الى يومنا تسعة رجال تنطق اسماؤهم بسموّ فضلهم وهم كونيغ بك ثمّ تُوربورن (Thurburn) ثمّ ماريت باشا (وترأّس ثلاث مرّات) ثمّ دي شمبور (de Chambure) ثمّ كولوچي بك(Colucci Bey) ثمّ غليردو بك ثمّ مسپرو ثم الدكتور شوينفرت (Schweinfurth) ثمّ يعقوب ارتين باشا المتقدّم الحالي . وقد دخل في الجمعيّة منذ ذلك العهد نيّف ومئتا عضو اشتهر بينهم بجميع العلوم كثيرون ممّن يطول بنا ذكر اسمائهم وقد استلفت غيرهم انظار الجمهور بمناصبهم الرفيعة وتآليفهم المفيدة . هذا فضلًا عن قوم من جلّة العلماء الذين آزروا اعمال الجمعيّة ورضوا بان تدرج اسماؤهم في قائمة اعضائها الشرفيين او كتبتها المراسلين

امّا مركز الجمعيّة فكان اولًا في الاسكندريّة لتوسّطها بين اوربّة وآسية وافريقية ولسهولة اجتماع العلماء فيها . وقد نُقل الى القاهرة سنة ١٨٨٠ لوفرة اسباب الشغل في عاصمة مصر ولكثرة متاحفها وخزائن كتبها وتوارد العلماء اليها

٢

اعمال جمعية العلماء المصريّة

اذا تخطّينا بعد هذه اللمعة الموجزة الى ذكر شيء من اعمال جمعيّة العلماء المصريّة

وجدنا انَّ ترقّي مصر في اسباب الحضارة والعمران كان في عصرنا من جملة اعمال هذه الجمعيَّة. فان العلماء الذين اشتهروا منها منذ مئة سنة هم الذين وطّأوا للحكومة كلَّ السُّبل لنشر التمدُّن الماديّ والادبيّ

وذلك انَّ نابوليون يوم وطئت قدمهُ ارض الفراعنة فهم ان حياة القطر المصري تتوقَّف على وَفرة مياه النيل وحسن سقي الاراضي. فعهد الى مهندسين بارعين ان يبحثوا بحثًا مدقّقًا عن خواصّ هذا النهر العظيم واقرب طريقة لينتفع بهِ المصريون لاسيما الفلاحون منهم. وقد امتاز منهم مهندسان اعربا عن معرفة واسعة وذكاء غريب اسمهما مَرتين ولِپار. فمن اعمل النظر في درس ما كتبهُ هذان العالمان بهذا الخصوص وجد انهما وضعا نواميس سقي الاراضي التي اجراها اليوم بالعمل ارباب مصر فانجلت عن احسن النتائج. ومما سبق الى ذكرهِ لِپار ما قام بعملهِ بعدئذٍ دي لسپس وهو الجمع بين بحر القلزم والبحر المتوسط وقد بيَّن في كتابهِ انَّ هذه القناة كانت موجودة في ايام الفراعنة وانَّ النيل كان يتَّصل بها بعدة بالقلزم. ومن مشروعات هؤلاء المهندسين خارطة عجيبة لكلّ التخوم المصريَّة طولها احد عشر مترًا في عرض ستَّة امتار و ٤٠ سنتيمترًا. هذا فضلًا عن خمس خارطات لاقسام بلاد الشام ورسوم مدن مصر الكبرى. وعلى هذه الخارطات كان معوَّل وزارة النافعة والاشغال العموميَّة

ومما يلحق بآثار المهندسين من اعضاء الجمعيَّة المصريَّة ما انشأهُ علماؤها من الاعمال الفنيَّة والصناعيَّة. وكان عدد من وكل اليهم نابوليون هذا الامر الخطير خمسة وعشرين رجلًا. فاقتسموا بينهم نواحي مصر وتفرَّغوا لكلّ الابحاث التي تختصّ بالصنائع والفنون فطافوا الصعيد والفيُّوم ووادي بحيرات نطرون وبلغوا الى شبه جزيرة سينا. وهم في اثناء ذلك يراقبون كل الاراضي ويناظرون اعمال الفلاحة وادواتها وطرائقها ويعاينون المعامل الصناعيَّة كلها فردًا فردًا مع محصولاتها. فلمَّا عادوا كتب كلٌّ منهم مقالة مطوَّلة في ما شاهدهُ ثمَّ بسطوا الكلام في الوسائل التي يمكن بها تحسين هذه الصنائع والفنون وفتحوا ابوابًا عديدة لتجارة مصر وترقّيها الصناعي. ولمَّا صار الامر الى محمد علي باشا جعل جلَّ همّهِ ان يسلك المحجّة التي نهجها هؤلاء العلماء بابحاثهم. واليهم يعود الفضل في استلفات النظر الى زراعة حبوب ونباتات كثيرة لم تُزرع في مصر قبلًا وهم الذين وسَّعوا نطاق مزارع القطن وقصب السكر والكتان ومعامل الزجاج وسموا في تحسين

كثير من الصنائع كعمل الصابون وتصفية السكر واستخراج الزيت وشغل الجلود وصنع الآنية الخزفيّة. ومنهم من دلّ اصحاب الامر على زرع الاشجار المختلفة. ومنهم من قصر نظرهُ على فحص التربة وتسميدها وسقيها والانتفاع بكلّ اقسامها دون ان يُفقد منها ذراع. وكلّ هذه الابحاث التي لا تزال تشغل اعضاء الجمعيّة المصريّة ادّت بعد مئة سنة الى تغيير هيئة مصر حتى صارت الآن اخصب بلاد الله واوسعها تجارةً واكثرها ربحًا. فان صادرات مصر في سنة ١٧٩٨ لم يكد يُعبأ بها. وهي في سنة ١٨٩٨ قد بلغت ٩١٩,٨١٧ طنًّا بيعت بنحو ٣٧٠ مليونًا من الفرنكات

ومن اعمال الجمعيّة تآليف عديدة لاعضائها في علم النبات فانّ دهليل (Delille) كتب كتابًا واسعًا في نبات مصر. وقد احسن في وصفهِ لخواصّ نبات الصحاري. ثمّ تعقّب آثارهُ كثيرون من اعضاء الجمعيّة العلمية كفيغاري (Figari Bey) وڤلكنس (Wolkens). وقد ألّف الدكتور شوينفرت كتابًا في وصف النبات المصريّ على عهد الفراعنة وبيّن ما كان يتخذهُ المصريون كنبات مقدّس يقرّبونهُ لآلهتهم. وبحث ايضًا المؤلف نفسهُ عن النبات المصري في ايّام العرب وعن اصل الاشجار المثمرة وقد استنتج من ابحاثهِ هذه انّ مصر كانت سابقًا اغنى بضروب النبات منها في ايامنا

وممّا وصفهُ اعضاء الجمعيّة العلميّة ضروب الحيوانات المصريّة. فان جوفروا سَنت هيلار وساڤيني (Savigny) صنّفا في ذلك تصانيف غريبة لم يُسبق اليها. وفي المجموع المعنون بوصف مصر ترى نيّفًا والف وخمسمائة صنف من الحيوان جمعها هذان العالمان ورسما صورها بالوانها الطبيعيّة

واشتهر بين المحدثين في الجيولوجيا فيغاري بك وهو الذي رسم خارطات لعلم طبقات الارض. وتأثّرهُ في هذه الابحاث المهمة غاستينل بك والدكتور غليردو بك (Gaillardot Bey) وفورتو (Fourteau) من مشاهير المهندسين لهم كتابات معتبرة امّا تِلّر وسِكنبرجر (Sickenberger) وغيرهما فانهما انكبّا بثبات على دروس العاديّات القديمة في بطن الارض التي تعرف بالآثار السابقة للتاريخ (paléontologie). ولماريت باشا والعلامة دَيل تآليف في علم الانسان وخواصّ تركيبهِ (anthropologie)

وقد اكتسبت الجمعيّة المصريّة ثناء الجمهور بمباحثها الطبيّة ومذ عهد نابوليون اشتهر في مصر قوم من نُطُس اطبائها بتآليف نفيسة وضعوها في وصف اصناف

الامراض والعلل الشائعة في مصر مع تشخيص اعراضها وبيان ادويتها. وقد برز منهم الدكتور ديجنيت (Desgenettes) والجراحي لاري (Larrey). ومن جملة كتب هذا الاخير مقالته في جراحة المصريين وطبهم. وبحث بروان (Bruant) عن الطاعون وامراض العين في القطر المصري. هذا ولا يزال الى يومنا كثيرون من العلماء يشرّفون الجمعيّة المصريّة بتآليفهم العديدة في جميع الفنون الطبيّة

وليست اعمال الجمعيّة المذكورة اقلّ شأناً في الرياضيات وعلم الهيئة. واول من اشتهر من اعضائها في ذلك العلامة مُنج (Monge) مخترع علم المساحة الوصفيّة لمعرفة صور الاجرام الفلكيّة واوضاعها في الفضاء. ومن تآليفه لمّا اصطحب بونابرت كتابهُ في السراب الذي يستند اليه كلُّ الطبيعيين. ومنهم فيدال باشا الذي صنّف مقالات عديدة في المباحث الجبريّة والانساب والمساحة واكثرها لم تُنشر بالطبع حتى الآن ومنهم ايضاً فَنتر باشا (Ventre pacha) سر مهندس الدائرة السنيّة. ومنهم الطبيعيّ فوريار (Fourier) والكيمويّ برتوله ولكلّ هولاء اعمال اثيرة في العلوم الرياضية والطبيعيّة نشرت في مجلة الجمعيّة في هذه السنين الاخيرة

وقد اشتهر منهم في الهيئة نواي (Nouet) وجاكوتين (Jacotin) وجومارد (Jomard) ورميراج (Remi-Raige) وكلهم في عهد نابوليون الاول اشتهروا بارصادهم الفلكيّة وتعريف أعراض البلاد واطوالها ومواقع المدن وبيّنوا اقيسة قدماء المصريين وازياجهم وتواريخهم السنويّة. الّا ان مقدَّمهم نواي وَهَمَ في تعريف عهد بعض الابنية كتحديد زمن منطقة البروج في دندره اذ نسبها الى سنة ٢٠٥٣ قبل المسيح مع انها وُضعت في ايّام كلاوبترة كما اصلح ذلك فنتر باشا وبيّن غلَت حساب نواي

والجمعيّة الحاليّة تفتخر اليوم بكثيرين من العلماء الذين يتفنون آثار اسلافهم في الدروس الفلكيّة نخصُّ بالذكر منهم الدكتور شناب (Schnepp) ولينان دي بلفون (Linant de Bellefonds) ودي أبّادي (d'Abbadie) وأبّات باشا (Abbate pacha) وارتين باشا ومحمود باشا الفلكيّ واسماعيل باشا الفلكي وصابر بك صبري وشفيق بك منصور وفيتو (Vito)

هذا واننا نعدّ كلّ هذه الخدم مع عظم خطرها وعلوّ شأنها قليلةً بالمناسبة الى خدمات

اجلّ واسمى ادّتها اعضاء الجمعيّة العلميّة للعالم كلهِ نعني بذلك الاكتشافات المصريّة العجيبة التي توصّل اليها اصحاب هذه الجمعيّة منذ مئـة سنة. وممن ساعدوا على دفع منار علم الآثار المصرية شمبوليون الشهير وهو اوّل من حلّ النـاز الكتابة المصريّة وشرح ما كان العرب يدعونهُ بالقلم المجهول سنة ١٨٢٢ وتمكّن من ذلك بواسطة كتابة وُجدت في رشيد بثلاث لغات

فمذ ذاك الحين دخلت علوم الآثار المصريّة في طور جديد وانتصب امام الدنيا عالَم عجيب بقي مطموراً في قلب الارض مدّة الفي سنة بنيف. فقرئت كلّ الكتابات العديدة التي كانت على الهياكل المصريّة والمسلات والمدافن ونُبذ التاريخ المصريّ القديم المأخوذ عن اليونان والرومان وقام مقامهُ تاريخ جديد يستند الى اقوال قدماء المصريين انفسهم

ولم يكتفِ علماء الجمعيّة المصريّة ان يطلعوا على اسرار الكتابة المصريّة بل حاولوا ان ينزلوا الى اعماق الارض ليهتكوا القناع عن كنوزها العلميّة. وايّدهم في ذلك اصحاب الامر الاعظمون منذ محمد علي باشا الى سموّ جلال الخديوي الحالي الامير عبّاس باشا حلمي الثاني ولهم الفضل في انشاء لجنة مصر لبحث العاديات

والذين اشتهروا مباشرةً باكتشاف الآثار المصريّة العلماء الآتي ذكرهم سلت (Salt) وميمو (Mimaut) ودروفتي (Drovetti) وپاسالَكوا (Passalacqua) وكليو (Caillaud) وتفنا دوفان (Thévenat-Duvent) مع رؤساء بعثات علميّة مختلفة لاسيا شمبوليون وروزلّيني ولپسيوس وروجه (Rougé). فاصاب كلّهم من الآثار الجليلة ما اغنوا بهِ دور المتاحف في عواصم اوربّة جماء

وممن تأثر آثار هؤلاء وفاز بقصبة السبق ماريت (Mariette) الذي انشأ متحف بولاق وجدّد جمعيّة العلماء المصريّة. فانّ هـذا الرجل الهمام بعد ان اكتشف هيكل سيرابيس (Sérapéum) في مَنف دعاهُ سعيد باشا ووكل اليهِ حفر العاديّات المصريّة فقام هذا العالم بهمّتهِ احسن قيام مدّة ٢٣ سنة فاكتشف الاكتشافات العجيبة التي ترنّ اسماء مواقعها في الآذان فتشنّفها باحلى الانغام. فمن ذلك عاديّات سقّاره وكتاباتها ومنها هياكل ادفو ودندره ومدافن ابيدس ومآثر تانيس وثيبة

ثم خلفهُ العلامة مسپرو (١٨٨١—١٨٨٥) ففتح اهرام سقّاره ونشر ما وجد فيها

من الكتابات المتعلقة بالموتى ثم اخرج من تحت الردم هيكل الأقصر ونفذ في مخبَّأة دير البحري فوجد فيها اجسام فراعنة مصر المحنَّطة (راجع المشرق ١: ٨٨٠). ثم وليهُ موسيو غريبو (Grébaut) وواصل التنقيش في دير البحري الى ان اكتشف نواويس عظماء كهنة الاله أمون ووجد في جوار ثيبة آثار مدينة «ابو» العظيمة الشأن. وفي عهدهِ نُقلت عاديَّات متحف بولاق الى قصر الجيزة لضيق معاهد بولاق

وتولّى امر العاديَّات المصريَّة الموسيو دي مرغان الذائع الصيت ولهُ اكتشافات شهيرة منها هيكل فتاح في مَنف وهيكل كوم امبو وهيكل كرنك ونواويس مره وكابين وابوصير. ومنها آثار داشور العجيبة وفيها الحلي والاواني الدقيقة الصنع المحكمة الاتقان. ومن التآليف الخطيرة التي نشرها في ذلك: قائمة آثار الصعيد وكتاب البحث في اصول مصر (مجلدان) وهو فريد في بابهِ

ولمَّا انتدبت الحكومة الفرنسويَّة دي مرغان الى بعثة علمية في بلاد العجم عُهد بامر العاديات المصريَّة الى ڤيكتور لوره فهداهُ الله الى اكتشاف جثث بعض الفراعنة مع غير ذلك من الآثار العلميَّة التي سبق وصفها في المشرق (١: ٥٨٠ و ٨٨١). وقد استُدعي العلاَّمة مسپرو ثانيةً الى نظارة العاديَّات منذ زمن قليل فسُرَّ الجميع بعودهِ

ومن مكتشفي الاثار القديمة في مصر ممن زانوا الجمعيَّة المصريَّة الدكتور شوينفرت وهنري بروغش باشا (Brugsch Pacha) وبروغش بك محافظ متحف الجيزة ودارسي (Daressy) وبوريان (Bouriant) ولوغرين (Legrain) وفلندرس پتري (Fl. Petrie) ووليم غروف (Groff) ولكلّهم اليد الطولى في ابحث عن العاديات المصريَّة

ونحن نضيف تهانئنا الى تهاني كلّ العلماء ونتمنى للجمعيَّة المصريَّة ان يزيد الله اعضاءها فضلاً وشأناً فيبلغهم جلَّ امانيهم باحياء ما بقي من دفائن الآثار المصريَّة

المواد الكلسيَّة في التربة الزراعيَّة

للشاب الاديب الفاضل سليم افندي اصفر مفتّش الزراعة في لبنان

ذكرنا في مقالتنا السابقة (المشرق ٣: ٧٥ — ٧٧) ان من جملة المواد الجوهرية الداخلة في التربة الكلس والعناصر المتركبة منهُ. وقد رأينا ان نفرد للبحث عن هذا

العنصر باباً خصوصياً لعظم شأنهِ في التربة الزراعية. والحقُّ يقال ان للكلس عملاً مشكوراً وان كانت كميتهُ في التربة الجيدة لا تتجاوز من الخمسة الى العشرة في المئة

واعلم انَّ الكلس اذا ما كان في التربة على هيئة حجارة او رمل مختلط بالحصباء لا فعل لهُ في تحسين الارض الزراعية كما لا تحسنها بقية الحجار من الصوَّان او الرمل المتحجر (grès). ولكن اذا عملت فيهِ العوامل وتحوَّل الى تراب واختلط ببقية العناصر اثَّر في التربة تأثيرًا حسنًا وأجدى خواصها الطبيعية منافع شتى

فمن ذلك انَّ المواد الكلسية المنعمة هي من شروط التَّنطُّرن (nitrification) والتنطرن عبارة عن تحوُّل المواد الازوتيــة الآلية من حالتها الجامدة الى حالة معدنية تصلح لغذاء النبات. لانَّ الازوت هو قوام حياة النبات لكنهُ على كثرة وجودهِ في الطبيعة ودخولهِ في نفاية الاجسام الآلية النباتية والحيوانية كالسماد وزبالة النبات لا يمكنهُ ان يفيد الزراعة شيئاً ما لم يتحوَّل باختلاطهِ مع الاركان المعدنية الى مركَّبات نطرونية (nitrates) فيحصل بذلك التَّنطُّرُنُ الذي لا بُدَّ منهُ لتغذية النبات (راجع المشرق ٣: ٧٦). وهذه الأخلاط المركَّبة تشبه نترات الصودا. اما علَّة هذا التحوُّل الجوهري فهو ميكروب خصوصي لا يقوم بعملهِ الَّا بشروط: اوَّلها الهواء. ثانيها بعض الرطوبة. ثالثها حرارة تختلف بين ٥ درجات الى ٣٥ درجة والافضل ان تبلغ ٢٠ الى ٣٧ درجة من المقياس المئوي. رابعها ان يدخل في التربة موادّ قلويَّة. خامسهـا ان يدخل الكلس في تركيب الحامض النطري فيتكوَّن منهمـا نترات الكلس الذي يصلح بذاتهِ توًّا لغذاء النبات

والموادّ الكلسية فضلاً عن كونها تهيّئ القوت للنبات هي ايضاً نعم السماد لهـا فانَّ النبات يمتص منها قسماً فيحوّلهُ الى جوهرهِ. ولها ما عدا ذلك فعلٌ ثالث وهو على ما بيَّنهُ شلوسنغ (Schlœsing) ان تجمّد الصلصال في التربة وتجعلهُ خفيفاً مناسباً للزراعة

هذا وانَّ ارباب الزراعة يهمُّهم ان يعرفوا أتكون التربة غنيَّـةً بالكلس او هي خلوٌ منهُ واذا خلت هل هي من الحوامض او لا. فانَّ معرفة هذه الخواصّ تصلح ايَّ صلاح لتوفير الغلَّات واختيار انواع السماد. واعلم انَّ التربة الغنيَّة بالمواد الكلسيَّة

يسهل تمييزها عن التربة الخالية منها وذلك بان تسكب على الارض شيئاً من الحوامض ولو مُشبعاً بالماء. فترى لوقتك الحامض الكربونيك ينبعث من الارض. ومن الدلائل ايضاً على وجود الكلس في التربة توفُّر الاعشاب النابتة فيها من تلقاء ذاتها لاسيما البقول كالبرسيم والقتّ والبرجيس والسدر. وبعكس ذلك تستدلُّ على قلّة الكلس اذا انبتت الارض الاقحوان والحنض والخنشار والرَّتم

ولمعرفة كميّة الكلس في الارض مقياسٌ يدعى مقياس الكلس (calcimètre) ومقاييس الكلس عديدة كمقياس مُندزير (Mondésir) وبرنار ولوبلان وشيلر وكلمنسو وكلُّها مبنيّة على هذا المبدإ الوحيد وهو تحليل الكلس بواسطة الحامض الكلوردريك. فتأخذ لذلك وزناً معلوماً من تراب الارض المطلوب فحصها فتنخلهُ بمنخل ناعم ثمَّ تصبُّ عليهِ مزيجاً مشبعاً من الحامض المذكور فيتخلّص للحال الحامض الكربونيك الباقي في التراب وهو يُجمع في اسطوانة من الزجاج ذات مقياس مجزَّإٍ. ومن وزن حجمهِ يُستدلُّ على ثقل الجصّ الذي منهُ انبعث. لانهُ من المقرَّر ان مئة غرام من التربة الكلسيّة يحتوي ٤٤ غراماً من الحامض الكربونيك و٥٦ غراماً من الكلس اما الليتر من الحامض الكربونيك فثقلهُ غرامان على التقريب (وبالتدقيق ١,٩٧٧). فاذا عرفت حجم الحامض الكربونيك تيسر لك معرفة ثقل الكلس المناسب

فلنفترض مثلاً انَّ غراماً من التراب الناعم الناشف بعد مزجه بالحامض الكلوردريك بعث ٣٤ سنتيمتراً مكعّباً من الحامض الكربونيك فتحصل النسبة الآتية:

لانَّ ثقل الليتر (اي الف سنتيمتر مكعّب) غرامان فينتج ان سنتيمتراً مكعّباً يكون ثقلهُ ١٠٠٠/٢ او ٠,٠٠٢ فيكون ثقل ٣٤ سنتيمتراً ٠,٠٠٢×٣٤=٠,٠٦٨ هذا ونعرف انَّ ٤٤ غراماً من الحامض الكربونيك توازي ١٠٠ غرام من الكلس فانْ دللنا على المجهول بحرف ك قلنا:

$$ك = \frac{١٠٠ \times ٠,٠٦٨}{٤٤} ٠,١٥٤$$

اعني انَّ غراماً من التربة المذكورة يتضمّن ٠,١٥٤ ملغراماً من الكلس ومئة غرام منها تتضمّن ١٥ غراماً و ١٠٠/٤ من الكلس. وعادةً يكفي ان يجمع الحصول بعدد ٤,٠ وهو ما ينبعث تقريباً من الحامض الكربونيك من غرام واحدٍ كما مرَّ

وبين المقاييس الكلسية المذكورة امتاز مقياس برنار وهو مدير مختبر كلوني

(Cluny) وهو عبارة عن اسطوانة مجزَّأة الى مئة سنتيمتر مكعَّب ونصف السنتيمتر. ثمَّ قنينتين مخروطتين ثمَّ كُرَة تنتهي برأس محدَّد تُعلَّق على سند

فاذا اردتَ ان تستعمل القياس المذكور فعليك ان تملأ الكرة ماء بحيث يعلو في الاسطوانة الى درجة الصفر ثمَّ تأخذ غراماً من التربة المَنويّ فحصها بعد نخلها فتضعها في قنينة ثمَّ تأخذ كميَّة من مزيج الحامض الكلوردريك فتصبُّهُ في القنينة بواسطة اسطوانة اختباريَّة صغرى مجزَّأة. ثمَّ توازن بين ماء الاسطوانة المجزَّأة وماء القنينة وتسكب مزيج الاسطوانة في القنينة فينبعث للحال الحامض الكربونيك ويعلو فوق سطح الماء فيخفضهُ. وفي اثناء ذلك يمسك المُختبر بيدهِ الشماليَّة قنينة الماء فيجتهد ألَّا يضغط الماء غير الحامض الكربونيك. واذا هدأ الماء بعد انخفاضهِ يُقرأ على المقياس عدد السنتيمترات المكعَّبة ويضرب بعدد ٤ ثمَّ يُقسم بعشرة فتعرف بذلك كميَّة الكلس

اللَّان والبُرْجَان

لحضرة الاب انستاس الكرملي الحاني البغدادي

قد استقصيتُ البحث عن هاتين اللفظتين في الكتُب فرأيتُ الافرنج قد اجمعوا اللَّان بكلمة Polonais وبلادهم بلفظة Pologne. ونقلوا البُرجان الى حرف Bulgares وبلادهم الى Bulgarie وقد رَكِب متن هذا الشطط جميع الذين نقلوا الى لغتهم مؤلفات تواريخ العرب التي فيها يُذكَر هذان الاسمان كمترجمي كتُب خريدة العجائب ومروج الذهب وتاريخ مختصر الدول وتاريخ ابي الفداء. ونحوها من الأسفار الكثيرة العدد (١. غير اني لمَّا رجعتُ الى أُمَّهات كتُب العرب رأيتُ انَّ بين القولين بوناً عظيماً وان الكلمة العربية في وادٍ والكلمة الافرنجية في وادٍ. فاستنتجتُ ان سهم

---

١) قد تأثرهم شارح مجاني الادب ص ٣٥٧ اذ قال: « اللَّان ويُقال لهم اللان هم سكَّان بولونية. وموقع بلادهم اليوم في بلاد الرُّوس وشرقي جرمانية وشمالي اوستريا وجنوبي بحر البلطيك. قال الادريسيّ: وبولونية ... الخ. » وقال في كتابهِ المترجم بالمنتخبات العربيَّة Chrestomathia arabica ص ٣٥٣ في الحاشية: « اللَّان Poloni » وذكر: « البرجان » باسم « Bulgari » وأحال النظر في المجلَّة الاسيويَّة في حزيران سنة ١٨٤٩ ص ٤٦٥ و ٤٧٦

الاعاجم عن الغرض قد حاد. ولذا ما زلتُ أنضي رِكابَ البحث طالبًا الرشاد. حتى بان لي ان الله هداني الى ضالّتي بعد جهدٍ ليس وراءه مستزاد. فاحببتُ ان أكاشف بها قرّاء المشرق الكرام ليكونوا على هُدًى مما يقرأون. ولكني لا يصحّ ان يُقال فيهم: « تَزَوُّدُ الفُرارِ استجهلَ الفُرارا »

قال صاحب التاج وقد جمع في كلامهِ خلاصة أقوال المؤرخين من العرب ما نصُّهُ: « اللّان بلاد واسعة وأُمّة في طرف أرمينية وهي مملكة صاحب السرير وهي ثمانية عشر الف قرية. قال ياقوت: « بلادهم متاخمة للدربَند في جبال القَبْق ومنهم المسلمون والغالب عليهم النصرانيّة. وفيهم غِلَظ وقساوة. وملكهم يُقال لهُ كنداج. (قلتُ: وفي مروج الذهب المطبوع في هامش نفح الطيب ١: ٢٤١ يُروى: كركنداج. وكذا رُوي ايضًا في هامش الكامل لابن الاثير ٢: ٢٦) وبين مملكة اللان وجبل القَبْق قلعة وقنطرة على وادٍ عظيم يقال لهذه القلعة قلعة باب اللّان. وهي على صخرة صمّاء لا سبيل الى الوصول اليها إلّا باذن مَن بها. ولها عينُ ماء عذبة وكان مسلمة بن عبد الملك وصل اليها وفتحها ورتّب فيها رجالًا من العرب يحرسونها. بينها وبين تفليس مسيرة ايّام. وعَلّان بالعين من لحن العامّة (وكذا رواها ابو الفداء). قلبوا الالف عينًا » اه

قلت: قد اتّضح لك كالشمس في رائعة النهار: ١ً ان بلاد اللان متاخمة للدربند Derbend ٢ً وانها في جبال القَبْق Les monts Caucase ٣ً وبين جبل القَبْق وجبل اللان قلعة وقنطرة على وادٍ عظيم يقال لهذه القلعة باب اللان. وقد زاد المسعودي على ذلك كلامًا طويلًا منهُ ما قال: « وبينهُ (اي بين ملك اللّان) وبين صاحب السرير مصاهرة في هذا الوقت (وقت المسعودي) وقد تزوّج كلّ واحدٍ منهما باخت الآخر. وقد كانت ملوك اللّان بعد ظهور الاسلام في الدولة العبّاسية اعتقدوا دين النصرانيّة. وكانوا قبل ذلك جاهليّة. فلمّا كان بعد العشرين والثلثمائة (اي سنة ٩٣٣م) رجعوا عمّا كانوا عليه من النصرانية وطردوا من كان قبلهم من الاساقفة والقسيسين وقد كان انفذهم اليهم ملك الروم » اه. والحال ليس شيء من هذا الكلام ينطبق على البولونيين بل ولم يُوجد هؤلاء قطّ في جبال القبق في القرون المذكورة هنا. ثمّ ان البولونيين لم يسلموا ابدًا. الى آخر ما هناك من الاختلافات العظيمة بين اللّان

والبولونيين(١ .وعليهِ فاللّان ليسوا بالبولونيين بل هم الذين يسمّيهم الافرنج les Alains وقد اخذ العرب هذه التسمية عن اليونان وهي بلسانهم Ἀλανοί وتسمَّى بلادهم عندهم Ἀλανία او عن الرومان وهي عندهم Alani وبلادهم Alania .اما باب اللان فيسمّيهِ الروم Pylæ Caspiæ او P. Caucasiæ وسمَّاهُ الافرنج porte des Alains ويُسمَّى اليوم باب دريال (porte de Dariel) .وقد مرَّ بك في المشرق(٢ : ٧٢٥) ان الجبال التي يُسمّيها بعض تراجمة العرب في يومنا هذا « جبال قوقاس » هي معروفة باسم « كوه قاف » اي جبل قاف وقد صحّفهُ العرب « قبقا (بباء بين قافين والاولى مكسورة) وقَبقا (كذلك لكن بفتح القاف الاولى) وقبقا (بفاء مكسورة في الاول) وصحّفوهُ اليوم : بقبق (بباء ساكنة بين قافين والاولى مفتوحة) وجبل الفتح ايضاً (راجع مروج الذهب فصل : « ذكر جبل الفتح ») والفتح تعريب « قاف » او « كاف » المشتقّة من « كافتن » الفارسيَّة ومعناها : « الشقّ والصدع والفتح(٢ وسُمّي بجبل الفتح لكثرة الشقوق والصدوع فيه

وقد اعتبر العرب في لفظة « اللّان » ان « ال » هنا زائدة للتعريف . والحال انها اصليَّة وهي فيها همزة قطع لا همزة وصل وكان يجب ان يُقال عند ادخال ال التعريف عليها « ألألان » . وعليهِ فان رواية العامّة لهذا الاسم اي « علّان » هي اصحّ من الرواية المعتبرة فصيحة اي « لان » لانَّ الاولى تُبقي عدد الحروف على اصلهِ مع ابدال الهمزة عيناً وذلك كثير الوقوع في العربيَّة كما سبق الالماع اليهِ في المشرق غير مرَّة . واماً « لان » فهو من تصرفهم بالالفاظ الاعجميَّة كما فعلوا في « مينا وقطرب واسكندر وقاوند وبريث وزرنيخ » وغيرها بحذف اللام او « ال » . ومع كل ذلك فالاحسن ابقاء اللان على الحالة التي ذكرتها العرب لانهُ قيل في مثل هذا الباب : « الغلط المشهور خيرٌ من الصواب المهجور » وان كان يجوز لك ان ترجع الى الاصل او ان تقول علّان . اماً البولونيون فقد سمَّاهم العرب باللّاه بياء مهملة في الآخر لا بنون . ولعلّ هذه

١) قال في شرح مجاني الادب : « .وقع بلادهم « اليوم » في بلاد الروس . . . » تخلّصاً من الاعتراضات والعقبات

٢) لم يتّصل الافرنج الى حلّ معنى هذه اللفظة . راجع الكتاب المسمى Le Caucase, la Perse et la Turquie d'Asie, par le baron Ernouf, p. 21 et 22

المشابهة هي هي التي استدرجت بعض المحدثين الى هذا الوهم. وانما دُعي البولونيون بهذا الاسم لان قبيلة من الصقالبة واسمها « اللاه » (وبالفرنسية Lèches والحرفان ch في هذه الكلمة يلفظهما اصحاب تلك اللغة حرفاً واحداً بين الحاء والهاء. لا كالشين) انضمّت الى قبيلة اخرى اسمها « اللَّطُونة » (وبالفرنسية Lettones) وشنّاغارةً شعواء على سكّان تلك البلاد الاصليين ودوّختاهم فتسمّت تلك الاصقاع منذ ذلك الحين بلاد « صقالبة السهل » وبلسانهم بولان بالامالة اي Polènes او پولوني Polonais.

ودخلت النصرانيّة اوّل دخولها تلك البلاد سنة ٩٦٥ م في عهد الملك ميأسْلاس الاوّل ودخلت بلاد اللّان دخولها الاوّل نحو السنة ٣٣٥ في عهد قسطنطين الكبير كما ذكرهُ ابن العبريّ ولم تعمّ اللان جميعهم الّا في بدء خلافة العباسيين. وبين هذين الدخولين فرق يُذكر ويُؤيدهُ قول مؤرخي العرب. هذا وكلما اردنا ان نتتبّع الى آخر ما هنالك من الروايات التاريخيّة نراها لا تنطبق الّا على اللّان بل وتقع عليها وقوع الحافر على الحافر ولا تبتعد الّا عن اللّاه او البولونيين فاحفظ وَعِ

امّا البُرجان فليسوا بالبلغار على ما ظهر لنا وان كان بين الكلمتين بعض الشبه. وسبب كونهم ليسوا بذلك ان العرب يُميّزون كلّ التمييز بين الجيلين وكل مؤرخ منهم لم يذكر الواحد بدل الآخر. ألا ترى مثلاً ابن الورديّ يقول في كتاب خريدة العجائب ص ٤٦ عن ارض البُرجان ما نصُّهُ: « هي ارضٌ عظيمة واسعة بها من البُرجان أُمم لا تُحصى وهي امة طاغية قاسية بلادهم واغلةٌ في الشمال » وهو يقول عن ارض البلغار ص ٤٨ ما حرفهُ: « هي ارض واسعة ينتهي قصر النهار عند البلغار والروس (وفي الاصل المطبوع والرؤس بهمزة على الواو وهو خطأ ظاهر) في الشتاء الى ثلاث ساعات ونصف ساعة. قال الجواليقي: « ولقد شهدتُ ذلك عندهم فكان طول النهار عندهم مقدار ما أُصلّي اربع صلوات كل صلاة في عقيب الاخرى مع الاذان وركعات قلائل الاقامة والتسبيح. وعماراتها متّصلة بعمارة الروم. وهم امم عظيمة ومدينتهم تسمّى بلغار وهي مدينة عظيمة يخرج واصفها الى حدّ التكذيب » اه. وكذلك ميّز بين الجيلين المسعودي وابو الفرج وابن الاثير والطبري وابن المكرّم وياقوت وغيرهم واجتزأنا بالتلميح عن التصريح خوف الاطالة على غير جدوى. فاذا كان البُرجان والبلغار او البلغر (كما يكتبها المسعودي) جيلين متميّزين فلا يجوز البتّة تسميتها باسم واحد بل البُرجان هم الـ (Varègues)

وكما انَّ العرب اخذوا هذه اللفظة عن اليونان وهم يكتبون الثاء الفارسيَّة المثلَّثة الفوقيَّة باء موحَّدة تحتيَّة اي Βαργοι سَهُل سبب تعاقب الثاء والباء. والكلمة هي في الاصل Warg بمعنى المنفيّ فقال العرب فيها « بَرج » ثمَّ توهموا فيها الافراد فجمعوها على فُعلان فقالوا فيها « بُرجانًا » كما قالوا في جمع ظهر ظهرانًا (١. واذ قد علمت ذلك فارجع الآن الى مؤرخي العرب وقابل كلامهم بما ذكر الافرنج عن الـ Varègues فانك لا تتمالك عن ان تقول عنًا:

اذا قالت حذام فصدّقوها فانَّ القول ما قالت حذام

(المشرق) انا نشكر حضرة الاب انستاس على هذه النبذة النفيسة لاسيما ما كتبهُ عن اللان واللاه والفرق بينهما. امَّا قولهُ عن البرجان فمع تسليمنا بصحتّهِ في مواقع كثيرة لا نظنُّ انَّهُ قطعي: فانَّ المستشرق الشهير دي كاترمير اورد في تاريخ المنول (١ : ٤٠٨) شواهد لا تنطبق على غير بلنار نهر الطونة منها قول المسعوديّ عن بوستيان الثاني الاخرم انَّهُ لاذ بتاوفيل ملك البرجان. والكتبة اليونان يذكرون ذلك عن ملك البلنار ل. ش

غزير

موقعها وابنيتها القديمة

بقلم جناب نجيب افندي فارس باخوس الغزيري

غزير لفظة سريانيَّة (٢ معناها « مقطوع » وهي كذلك لانها مفصولة من كل ناحية عمَّا يجاورها من القرى باودية وهضاب. وقيل انها لفظة عربيَّة معناها « كثير » لغزارة مياهها وهو قول بمكان من الضعف. وهي مبنيَّة على منحدر رابية منبسطة وبيوتها منضَّدة بعضها فوق بعض على شكل نصف دائرة (amphithéâtre). بحيث يستطيع الناظر اينا وقف ان ينعم النظر ببهجة المناظر الطبيعيَّة التي خصَّها بها الخالق. ولا جرم انها من اعظم قرى لبنان اتساعًا واخصبها تربةً واطيبها هواء واغزرها ماء ترتفع عن سطح البحر زهاء ٣٥٠ مترًا. امَّا عدد سكَّانها فيبلغ ستة آلاف الَّا انَّ

---

١) ولعلَّ العرب اشتقُّوا اسم البُرْجان من اسمٍ آخر شائع لهم هو Warangians او Warngues

٢) حدمنا احدمنا. اسم مفعول اي مقطوع. وقد وهم صاحب جغرافية سوريَّة وفلسطين بظنّهِ ان معناها قطيع الغنم (راجع المشرق ٢ : ٤٧٥)

كثيرًا منهم ترحوا الى الديار الاميركيَّة تحصيلًا للمال فنجحت مساعيهم وبعد عودتهم بنوا فيها الدور الانيقة وشيَّدوا تحت سمائها المنازل الفسيحة

ومن ابنية غزير التي تستوقف النظر بقدمها اكثر من سواها دير الكبوشيين الذي كان دارًا للامراء من آل عسَّاف وسيفا وشهاب فسكنوها مئات من الاعوام وكانوا ولاة الاحكام في غزير وكل المقاطعة الكسروانيَّة لذلك العهد. والحق يقال ان موقع هذا البناء هو من احسن مواقع غزير وأبهجها للنظر

غير ان هذا الدير كان قد بني معظمهُ سنة ١٥٧٢ م احد الامراء المسلمين العسافيين (١ المشار اليهم وهو الامير منصور عسَّاف الذي جاء غزير من الزوق (قرب جونية) لمَّا ان صدرت الارادة السلطانيَّة بعدَ ولايتهِ من نهر الكلب الى حماة وفُوِّض اليه ان يعيِّن « مقدَّمين » او حكَّامًا في كلّ قرية. فجعلهُ دارًا لسكناهُ وللقضاء (٢. ولعنايتهِ بتوطيدهِ وتمكينهِ امر بان يعقد بالحجارة الكبيرة وان يُجعل عرض جدرانهِ نحوًا من ذراعين كما هو باقٍ الى الآن. غير ان كرور الاعوام قد اثَّر بهِ بعض الوهن رغمًا عن متانتهِ فرَمَّمهُ الآباء الكبوشيُّون ووطدوه منذ بضع سنين مخافة السقوط. وهم الذين شادوا فوقهُ (لا آل سيفا المسلمون كما يزعم البعض) طابقًا علويًّا وامامهُ كنيسة ذات قبَّة لا يفترق كلٌّ منهما في الهندسة والاحكام عن البنيان القديم

وبنى ايضًا الامير منصور المومأ اليهِ بالقرب من الدار المذكورة برجًا اقام فيهِ حينًا احد أبناء عمّهِ المدعو منعمًا وقد جُعل هذا البرج فيما بعد كنيسة تُعرف عندنا « بسيدة الابراج ». وقد جدَّد بناءها الخوري اسطفان حبيش سنة ١٨٤٧ وخصَّها ببعض أسرتهِ

وبنى ايضًا على مقربة منهُ حيث ينتهي السوق المعروف عندنا الان « بسوق الجامع » جامعًا فسيحًا لهُ مأذنة تنطح الغمام (٣. ومات الامير منصور في غزير ودُفن في

---

١) ولي الامراء العسافيون غزيرًا والمقاطعة الكسروانية مدَّة ٢٨٣ سنة (١٣٠٦—١٥٩٠م) وآخر من تولى القضاء منهم الامير محمد الذي قُتل بين البترون والمسيلحة وبهِ انقرضت سلالة آل عسَّاف كما ستري

٢) يذهب كثير من مواطنيَّ الى انَّهُ قد بنى ايضًا قسمًا من الطابق الاسفل من البيت الذي يملكهُ الان ورثة المرحوم الياس باخوس المجاور لمنزلهِ المذكور وجعلهُ تابعًا لهُ وبنوا قولهم هذا على الشبه الموجود بين البنائين في الهندسة وصنعة البناء ٣) قيل انَّ الجامع المذكور كان مبنيًا في الموضع المشيَّد فيهِ الان معمل الحرير الجاري في ملك خليل افندي باخوس

القبّة (١. التي كان قد خصّصها العسّافيون بدفن موتاهم. وكانت مدّة ولايته ثمانية واربعين سنة (١٥٣٢—١٥٨٠ م) كان فيها مظهراً للعدل والحزم. ومن الراهن الثابت انّ غزير قد سكنها كثير من المسلمين كما يشهد بذلك بقاء اسم الحي المعروف عندنا الان « بحي المسلمين (٢ »

ثم خلفهُ في الحكم ولدهُ الامير محمد وكان هذا احضر معهُ من الاستانة بنّائين ماهرين لإتقان الدار والجامع المذكورين واحكام بنيانهما على الطريقة المستحدثة في ذلك الحين. ويقول العلامة المؤرخ البطريرك اسطفان الدويهي في تاريخه: « ان الدار المذكورة كانت من اجمل دور هذه البلاد وانهُ بلغت نفقة بنيانها زهاء ١٤ ألف غرش » وتلك نفقة معتبرة عند ابناء ذلك العصر

وفي سنة ١٥٩٠ حشد الامير محمد عسكرًا وسار به لمحاربة يوسف باشا والي طرابلس لخصومة وقعت بينهما في المال الاميري فكمن لهُ في الطريق بعض اعدائه وقتلوهُ عند اجتيازه بين البترون والمسيلحة وبه كان انقراض بني عسّاف

ثم ولي الحكم بعدهم سنين طويلة امراء سيفا المسلمون (١٥٩٣) واقاموا ايضاً بالدار المار ذكرها ولم يغادروا غزير الّا بعد احتراقها وذلك في اواخر سنة ١٧١١ ولحق بهم ايضاً اذ ذاك كل المسلمين الذين كانوا مقيمين في غزير. وحُرقت غزير على يد محمد باشا ابي هرموش الحاكم الذي كان مقيماً في دير القمر فقيل في تاريخ حريقها: « ندمت غزير »: سنة ١٧١١. وكان السبب في ذلك انهُ لمّا اراد الدخول الى غزير بعسكره منعهُ سكّانها فبقي سبعة ايام يحاول ذلك وهو لا يتمكّن من القرية حتى تضايق الغزيريون ووهنت قواهم فبعثوا اليه يطلبون الصلح فقبل بشرط ان يدخل الى غزير ويسقي حصانه من جرن النبع المعروف عندنا الان « بنبع القنا » (وهو في اول « السوق الاعلى ») فلمّا دخل مكر بهم وامر بحرقها وقطع اشجارها ولم يبقَ فيها سوى بعض اشجار ميس مغروسة في الموضع المشيّد فيه حاليًا دير الآباء اليسوعيين مع شجرة توت بالقرب من النبع المذكور كان قد رُبط فيها حصان محمد باشا المومأ اليه. وكانت بيوت

١) وهذه القبّة اتّخذها بعد آل عسّاف امراء شهاب لدفن موتاهم ولم تزل قائمة الى الآن في الحيّ الذي يعرف عندنا باسمها « حي القبة » جنوبي غزير

٢) وهو في الجهة المتاوحة للابنية التي مرّ الكلام عليها

غزير لذلك العهد لا تزيد على سبعين بيتاً

امَّا الرسالون الكبوشيون فقد جاؤوا غزير من مدينة طرابلس سنة ١٥٨٣ وطلبوا من مشائخ آل حبيش ان يبيعوهم الدير المعروف الان بدير مار الياس للرهبان الانطونيين فأبوا لكنهم سمحوا لهم ان يقيموا به فسكنوهُ ٣٥ سنة. وهذا الدير لم يكن في بادئ امرهِ سوى كنيسة حقيرة عريقة في القدم لا يُعرف اسم بانيها ثم رُممت سنة ١٦٦٦ وبُني بجانبها بعض غُرف صغيرة الى ان جدَّد مؤخراً بناء هذا الدير رهبان مار اشعيا. ولم يقم الاباء الكبوشيون في ديرهم المعروف بهم الآن الّا سنة ١٧١٢ اي بعد ان غادره آل سيفا المسلمون. الّا انهم كانوا يهجرونهُ تارةً ويقيمون به أُخرى

وفي ٦ ك٢ سنة ١٧٦٧ وُلد في قاعة هذا الدير المعدَّة الآن لاستقبال الزائرين الامير بشير قاسم (١ عمر شهاب الشهير الملقَّب «بالكبير» الذي حكم لبنان مدة اثنتين وخمسين سنة واشتهر بأسهِ وعدالتهِ فعمَّدهُ احد الرهبان الكبوشيين. وفي السنة التي ولد فيها توفي والدهُ ولهُ من العمر اربعون سنة. فتزوجت والدتهُ بعد بضع سنين باحد الامراء الشهابيين واصبح الامير بشير يتيماً وحُرم ميراث ابيه. ولمَّا بلغ الثالثة عشرة من عمرهِ ترك غزير وخرج مسترزقاً لا يملك سوى فراشهِ وبعض ادوات لا قيمة لها حملها على ناقة يسوقها بنفسهِ وتوجَّه الى عمهِ الامير يوسف شهاب المقيم في حدث بيروت وقد تبعتهُ جارية سوداء كانت قد عُنيت بتربيتهِ طفلًا

ولمَّا أُقيم حاكماً على جبل لبنان واضطرَّ ان يُسافر بعدئذٍ الى مالطة (٢ سنة ١٨٤٠ ومنها الى الاستانة حيث قضى نحبهُ منفياً (١٨٤٩) (٣ رافقهُ في اسفارهِ الاب الورع المأسوف عليهِ الخوري اسطفان حبيش الغزيري احد تلامذة مدرسة انتشار الايمان في رومة وكان كل يوم يقدّم الذبيحة الالهيَّة في منزل الامير المشار اليه

ومن بنايات غزير دير الآباء اليسوعيين الحالي وقد كان داراً للامير حسن شهاب شقيق الامير بشير المشار اليه. بناها الامير حسن المذكور لمَّا كان حاكماً على كسروان وجلب اليها قسماً من ماء نبع المنارة في اعلى غزير وجعلها لاقامته وللقضاء فيها. وكان الفراغ من بنائها سنة ١٨٠٥. وامام هذه الدار ساحة فسيحة تُعرف « بالميدان »

١) يريد ابن قاسم (المشرق) ٢) ولذلك يعرف عند الكثيرين « بالمالطي »

٣) توفي الامير بشير في ٢٩ ك ١ سنة ١٨٥٠ (المشرق)

لانها كانت ميداناً لسباق الخيل ومباراة الفرسان. ثم مرض الامير حسن فعاده اخوه الامير بشير سنة ١٨٠٨ واقام عنده اياماً. ولمّا ابلّ من مرضه توجّه وأياه الى جبيل فعاوده المرض فتوفي هنالك في الثالثة والاربعين من عمره. فأتي بجثته التي رافقها الامير بشير الى غزير واحتفل بمأتمه احتفالاً عظيماً ودُفن حيث دُفن والده في القبّة التي شيّدها الامراء العسافيون. ثم وليهُ في الحكم ولده الامير عبد الله وكان حديث السن فاقام له عمُّهُ الامير بشير وصيّاً ومدبّراً لجميع اعماله ابا انطون يوسف باخوس فشيّد الامير عبد الله بالقرب من الدار التي بناها والده محلّاً للتجارة يسمّى « قيساريّة » وهو المحل الذي تسكنهُ الان راهبات قلبي يسوع ومريم اللواتي تحت عناية وادارة الاباء اليسوعيين وقد نُقش على مدخلها تاريخ نظمهُ الشاعر المرحوم نيقولا الترك وهو:

امرَ الاميرُ الشبلُ عبدُ الله في بنيان ما فيه يليق المتجرُ
واشاد « قيساريّةً » تاريخها حاط الامان بما فيها واشتروا

وفي سنة ١٨٤٤ ابتاع الاباء اليسوعيون تلك الدار مع القيساريّة من الامير عبد الله على يد المرحوم جرجس يوسف باخوس بمبلغ ٢٠٠ الف غرش فاتخذوهما ديراً لهم بعد ان رمّموهما وزادوا عليهما كثيراً ثم جعلوا هذا الدير مدرسة داخليّة نشروا فيها لواء الدين والآداب في ديارنا الشرقيّة فبعُد صيتها وخرج منها تلامذة اشتهروا بعلومهم ومعارفهم. فنهم من عرّبوا فأفادوا وكتبوا فاجادوا ومنهم من تقلدوا مناصب خطيرة وارتقوا الى درجات عالية نكتفي بالالماع الى كوكبي هذه الديار وفخر هذه الامصار غبطة السيد اللفان الياس الحويّك بطريرك الطائفة المارونيّة وغبطة السيد بطرس الرابع الجريجيري بطريرك طائفة الروم الكاثوليك اللذين قضيا في هذه المدرسة اعواماً واللذين تتباهى بهما غزير وتتنافس

وفي السنة الماضية زار غبطة بطريرك الموارنة المشار اليه دير الاباء اليسوعيين فبات فيه ليلتين وسرّ كثيراً برأى ما ذكّره بصباه الفائت. وبالاجمال فان جميع تلامذتها السابقين يحفظون لها في قلوبهم اجلّ تذكار

وقال في غزير احد تلامذتها السابقين الخوري يوسف الهاني الغزيريّ في « مقالته الغزيريّة » (١٨٧٢)

سقط الرأس غزيرُ وألمنا فيها غزيرُ
وانا منهوك حبٍّ في هواها واسيرُ

جنَّة في الكون اضحت   عن حماها لا اسيرُ
ماؤها ماءٌ زلالٌ   حولهُ مرجٌ نضيرُ
قاطنوها   وبنوها   ضاحم ربٌّ قديرُ

وفي سنة ١٨٧٥ نقل الاباء اليسوعيُّون مدرستهم الى بيروت فوسَّعوا نطاقها وجعلوها كليَّة فاستأجر مدرستهم في غزير رستم باشا متصرف جبل لبنان ونقل اليها مركز المتصرفيَّة في ١٥ ت ١ سنة ١٨٧٥ واستمرَّ الى نهاية شهر ايلول (١٨٧٦)

ثمَّ ان الاباء اليسوعيين عادوا الى ديرهم وزادوا في بنائهِ وتحسينهِ ثم بنوا فيهِ مؤخرًا كنيسة فسيحة الجوانب ذات قبَّة مرتفعة مربعة الشكل

ومنها مدرسة مار لويس في غزير المعروفة بالمزار (١ وقد كانت دارًا بناها الامير بشير الشهير لابن اخيهِ الامير عبد الله وجرَّ اليها ايضًا قسمًا من ماء نبع المغارة بقناة خصوصيَّة وفي سنة ١٨٧٩ اشتراها منهُ ومن بعض الامراء الشهابيين الذين كانوا قد استولوا على بعضها المأسوفُ عليهِ الخوري لويس زوَين وجعلها مدرسة داخليَّة سنة ١٨٨٠

وفي الجهة الجنوبيَّة من غزير دير مار انطونيوس لرهبان الارمن الكاثوليك المعروف «بيت خشبو» وهو مشيَّد على سندٍ يفاع بينهُ وبين غزير وادٍ مستفيض شجرًا وتاريخ بنائهِ يرتقي الى سنة ١٧١٨. وفي سنة ١٨٢٧ رمَّمهُ رهبانهُ وبنوا فيهِ سنة ١٨٢٩ كنيسة تُعدُّ في بلادنا الى الآن من اجمل واعظم الكنائس. وقد اقاموا فيهِ مدَّة ثمَّ هجروهُ ولم يُبقوا فيهِ سوى راهب قضى فيهِ سنين طويلة ثم آجروهُ سنة ١٨٩٢ رهبانَ الكبوشيين الافرنسيين الذين غادروهُ في منتصف السنة الماضية واقاموا في القُرَيَّة حيث بنوا لهم ديرًا هنالك

وفي اعلى غزير منتزه عمومي يُعرف «بنبع المغارة» يتسابقُ الغزيريون لاسيما في ايَّام الصيف ترويحًا للقلوب وشرحًا للصدور. وان هو الَّا عبارة عن مسيل ماءٍ يتدفق ويتموَّج قليلًا في مغارة صغيرة تُحجز مدخلها باسلاك حديديَّة ثم يتوزَّع في انحاء القصبة فيستقي منهُ الجميع

واوَّل من جاب الى غزير مياهها التي كانت تسير فتصبُّ في طبرجا الاميرُ منصور

---

(١) انما دُعي هذا الموضع بالمزار لان المسلمين اذ كانوا مقيمين في غزير بنوا فيهِ مدفنًا لولي عندهم يعرف «بالوليّ خليل» كانوا يزورونهُ غالبًا فدُعي لذلك بالمزار

عــاف الذى مرَّ الكلام عنــهُ بواسطة قنوات بُنيت بالكلس والتراب. ولمَّا اراد الغزيريون مؤخرًا استبدال هذه القنوات الترابيَّــة التي كان قد مرَّ عليها نحو من ٤٠٠ سنة بقساطل حديدية عجبوا من صلابتها ومتانتها فكان العامل اذا ضرب عليها بالمعول كأنَّهُ يضرب على الصخر الاصمّ. وبالقرب من النبع المذكور جسر يُعرَف بجسر « الزلاقات » بناهُ ايضًا الامير منصور المشار اليهِ

وفي سنة ١٨٦٣ رغب داود باشا المتصرف الاول على لبنان ان يمدّ طريق العربات الى غزير دون ان يدفــع ابناؤها غرشًا واحدًا فابى وتمنَّع الغزيريون وسكَّان القرى المجاورة. ثم لم يلبثوا ان التمســوا الطريق المذكورة في عهد متصرفيَّة رستم باشا فأُجيب ملتمسهم وشرعوا في تخطيطها فأُعيد مرارًا حتى انفقوا عليها مبلغًا وفيرًا لم يشاركهم في شيء منهُ سكَّان القرى المجاورة المنتفعة بهِ

فهذا ما ثبت عندي صدقهُ وبان لي امرهُ بعد البحث والاستطلاع فذكرتهُ في هذه اللمحة التاريخيَّة. وقد تجنَّبتُ كلَّ ما يلوح عليهِ شبه الريب والله من وراء الهداية

ملحق

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

احببنا تتمَّةً للفــائدة ان نضيف الى المقالة الســابقة ما عثرنا عليهِ من اخبار غزير فنقول :

لم نجد اثرًا لغزير في التواريخ القديمة على عهد الرومان وملوك القسطنطينيَّة. ولعلَّ اسمها الســرياني (ܓܙܝܪܐ اي المكان المنقطع) كان يدلّ اوَّلًا على النــاحية التي بُنيت بعدئذٍ فيها غزير (١. ويظنّ الاب مرتين اليسوعي صاحب تاريخ لبنان انَّ جهــات غزير وما يليهــا كانت في الزمن القديم غاباتٍ كبرى يغلب عليها شجر الســنوبر والسنديان كما ترى حتى الآن في الامكنة المجاورة لها ويدلّ عليهِ اسم بيت خَشبو (ومعناهُ الغابة) القريب من غزير

(١) ويزعم بعض المحدثين ومن جملتهم الاب مرتين اليسوعي انَّ اسمها عربي فيهِ اشارة الى خصب تربتها. والله اعلم

امّا اصل البلدة فالمرجَّح انهُ يرتقي الى اوائل القرن الرابع عشر. وذلك انَّ جيوش آقوش الافرم نائب الشام من قبل الملك الناصر (١ لمَّا دخلت كسروان وتغلَّبت على اهلها الروافض (٢ استقطنت تلك النواحي. قال صالح بن يحيى (المشرق ١ : ٢٧٦): «واقطعوها التركمان فادركوا موانئ البحر ودروب البرّ من ظاهر بيروت الى عمل طرابلس واستمروا الى وقتنا هذا وشُهروا بتركمان كسروان وعُرفوا بهِ»

واشتهر بين زعماء التركمان المذكورين رجلٌ اسمهُ سليمان بن عراب التركماني (٣ فاخذ في تحصين نواحي كسروان ووجد جهة غزير من احسن المراكز لدفع هجمات العدوّ مع توسّطها بين مشارف لبنان وساحل البحر فبنى حصنًا صغيرًا دعاهُ البرج وانزل فيهِ جنــدهُ وذلك عند كنيسة سيّدة الابراج الحاليَّة. امَّا اسم غزير فلم يَشِع الَّا بعد ذلك بمدَّة

ولمَّا فتح السلطان الغازي سليم خان الاوَّل بلاد الشام في سنة ١٥١٦ بطل حكم ملوك مصر في لبنـان. لكنَّ الامراء التركمان ولاة كسروان نالوا من السلاطين العظام ان يبقوا في امرتهم لما اظهروا من الولاء للدولة العثمانيَّة. وكان زعيم التركمان وقتئذٍ الامير عسَّاف فولَّاهُ السلطان سليم بلاد كسروان وجُبيــل وأمرهُ بحسن سياسة قومهِ والسعي وراء عمران بلدهِ ورتَّب عليهِ مالًا يسيرًا وجعــل على بلاد كسروان سبعمائة سلطانيّ فقط وكان مقدار السلطاني ثلثي القرش الاسدي واعطاهُ بذلك خطًّا شريفًا (٤. وكان الامير عسَّاف يقيم اوَّلًا عند عين شقيق وكان ينزل في الشتاء في عــين طورا فلمَّا شملتهُ الطاف السلطان سليم انتقل الى قرية غزير وجعل سكناهُ فيها. وتوفي سنة ١٥١٨ ودُفن في غزير

---

١) راجع المشرق ١ : ٢٧٥

٢) ليس هؤلاء الروافض من الموارنة كما زعم البعض. بل كانوا قومًا من النُّصيريَّة والخوارج كما يصرّح بالامر ابو الفداء في تاريخ سنة ٧٠٥ ﻫ (١٣٠٤)

٣) جاء في تاريخ الطائفة المارونية (ص١٢٥) ما حرفهُ: «وقيل انَّ جسر المعاملتين بناهُ سليمان بن عراب وهو الذي بنى حصن معراب شرقي غزير وسمّي جسر المعاملتين لانهُ بين برج قصيب وبرج جونية» على انَّ حضرة الاب لامنس اثبت في المشرق (٢ : ٤٣٩) ان جسر المعاملتين من الآثار الرومانيَّة ولعلَّ التركمان اصلحوهُ فقط. امَّا معراب فهي اثر روماني بلا مراء (راجع المشرق ٢ : ٥٩٥)

٤) راجع تاريخ الموارنة للدويهي ص١٥٢

وفي عهد الامير عساف قدم الى غزير جدّ الشيوخ الحبيشيَّة الشيخ حبيش بن موسى بن عبد الله بن مخائيل انتقل من يانوح الى غزير لما وجد في كسروان من الامن والطمأنينة . وكان اهل غزير سابقًا كلهم مسلمين فلمّا دخل بينهم الشيخ حبيش ولقي عندهم حظوة اقتدى بمثله غيرهُ من الموارنة فاتوا كسروان من جهات طرابلس لكن عدد المسلمين لم يزل اوفر من عدد النصارى . وفي سنة ١٥٤٦ اتى بنو كميد الى قاطع غزير

ثمَّ تعاقب على ولاية كسروان ابناء الامير عساف السابق الذكر وهم لم يزالوا يجدّون في تحسين غزير مركزهم . واشتهر بينهم الامير منصور (١٥٢٣—١٥٨٠) وقد امتدَّت ولايتهُ من نهر الكلب الى حماة . قال الشيخ طنوس الشدياق في اخبار الاعيان (ص ٣٤٨) : «وقد بنى سراية في بيروت وسراية في جُبيل وسراية في غزير وانشأ بقربها جامعًا ومأذنة وحمّامًا وجنينة كبيرة واجرى لها ماء من نبع المنارة» . وفي ايامهِ زاد نفوذ الشيوخ من بني حبيش واتولهم الامير منصور البرج الذي ابتناهُ الامير عساف وكان هو كبَّرهُ وزيَّنهُ فجعلهُ كقصر لهُ ثم قدَّم بني حبيش واستعملهم في مهمَّاتهِ واتخذ منهم يوسف وسليمان لتدبير اموره فخوَّلهما رتبة كاخية . وكانت وفاة الامير منصور سنة ١٥٨٠ . فخلفهُ ابنهُ الامير محمد وتولَّى الامر عشر سنين ثمَّ قُتل غيلةً قتلهُ يوسف باشا ابن سيفا والي طرابلس واستولى على املاكهِ . ثمَّ جرت حروب طويلة بين فخر الدين المعني وبين يوسف باشا انجلت عن استيلاك بني سيفا على كسروان وكان متولهم طرابلس يحكمون امراء من قبلهم على كسروان

وفي ايام بني سيفا خسرت غزير شيئًا من رونقها الذي اصابتهُ في ايام الامير منصور . وكان لآل حبيش التقدُّم على نصارى البلدة يسكنون البرج السابق ذكرهُ . وكان الامراء المعنيُّون اهدوهم اياهُ بعد انقراض الامراء العسَّافيين

وفي وسط هذا البرج اقام آل حبيش معبدًا صغيرًا جعلوا فيهِ صورة العذراء مريم . ويزعم اهل غزير انَّ الامر اوحي اليهم بمعجزة خاصَّة اذ ظهرت انوار عجيبة فوق البرج مدَّة ليالٍ عديدة . فاخذ نصارى البلدة يجتمعون في هذا المقام للصلاة ويكرمون الصورة اكرامًا خصوصيًا . ومذ ذاك اشتهرت في لبنان العبادة لسيدة الابراج . فكان الموارنة يأتونها من كلّ أوب ويقفون عليها الاوقاف وينذرون النذور حتى اضطرَّ آل

حيث الى توسيع افناء المعبد ثمَّ ارسلوا الى الاستانة وطلبوا فرمانًا من الباب العالي لابتناء كنيسة كبرى في اعلى الضيعة فصدرت الارادة السنيَّة تؤذن لهم بذلك فبنوا الكنيسة الرعويَّة وجعلوها ايضًا على اسم السيدة

وخلف آلَ سيفا في ولاية كسروان الامراء الشهابيون وفي ايامهم تكاثر عدد النصارى في غزير وسكنها بعض شيوخ آل خازن وابتنى لهم الامراء الشهابيون فيها دورًا رحبة. امَّا المسلمون فكانوا يهاجرون الى المدن الساحليَّة وقلَّ عددهم حتى انهُ لم يبقَ منهم في بدء القرن التاسع عشر سوى بيتين. وفي سنة ١٨٢٠ لم يُرَ بين اهلها غير الموارنة

وفي غزير ولد الامير بشير بن قاسم الشهابي المعروف بالكبير كما صرَّح بذلك جناب الاديب نجيب باخوس. وُلد سنة ١٧٦٨ (١ في قصر جدّهِ الامير عبد الله والي كسروان وهو القصر الذي اقتناهُ الاباء اليسوعيون (٢ سنة ١٨٤٤ فجعلوهُ مدرسة خرج منها قوم اجلاء. من مشاهير رجال عصرنا منهم ثلاثة بطاركة وخمسة عشر اسقفًا وعدد غير من الكهنة والرهبان والكتبة واصحاب السياسة. وعمد الامير بشير في كنيسة سيدة الابراج كاخيهِ حسن وقد حافظ كلاهما على ذكر هذه الكنيسة الى وفاتها. وفي وصيَّة الامير بشير الاخيرة التي كتبها في الاستانة قبل وفاتهِ سنة ١٨٥٢ هبة لسيدة الابراج تبلغ ثلاثين الف غرش

والحقُّ يقال انَّ سيدة الابراج اولت الامراء الشهابيين نعمًا جزيلة من جملتها نجاة الامير حسن عمر الشهابي والي جبيل فانهُ لمَّا اعتقلهُ الجزَّار في عكا وكان يريد قتلهُ التجأ الى حماية سيدة غزير ووعد ان يرمّم معبدها ويزيّنهُ اذا نجَّتهُ من هذا البلاء. ففي الليلة نفسها ظهرت لهُ البتول في حبسهِ وبشَّرتهُ بالخلاص. وفي صباح ذلك اليوم غيَّر الجزَّار افكارهُ واطلق سبيل الامير. فلمَّا عاد السجين الى غزير وفيها كانت سكناهُ اسرع الى القيام بوعدهِ

١) هذا تاريخ مولدهِ كما ورد في تاريخ لبنان للاب بطرس مرتين اليسوعي وفي اخبار الاعيان للشيخ طنوس شدياق (ص ٣٨٦)

٢) ونظن ان هذا اصحّ ممَّا رواهُ جناب الاديب نجيب افندي باخوس انهُ ولد في دار الكبوشيين وروايتنا تستند الى تواريخ رهبنتنا وقد دوَّن ذلك السيد مباين في رحلتهِ

امَّا شيوخ غزير الحبيشيون الذي كانت اليهم وكالة المعبد فقد نالوا من ألطاف البتول سوابغ النعم نخصُّ منهم بالذكر الخوري اسطفان حبيش الذي نجا من غرق اكيد اذ كان مسافرًا الى الاستانة بشفاعة سيّدة الابراج. وهو الذي ابتنى الكنيسة الحاليّة باشر بها سنة ١٨٣٥ لكنَّها لم تتمَّ الَّا بعد ذلك بمدَّة طويلة بهمَّة الخوري يوسف حبيش. واهل غزير يحتفلون بعيد سيّدة الابراج في ٩ آب. وقد دُوِّن ذكرها في سنكسار الكنيسة المارونيَّة مع ذكر القديسة فيلومينة

ترجام

يقال في اوَّل احد من الصوم المقدس

لفطرك المشرق ايليا الثالث ابن الحديثيّ المعروف بابي حليم

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

ابن الحديثي المعروف بابي حليم من مشاهير بطاركة النساطرة تولَّى كرسي المشرق على الكلدان من سنة ١١٧٦ الى سنة ١١٩٠. وقد ذكرنا في مجاني الادب (٤:٢٦٧) شيئًا من ترجمة حياتهِ. ولهذا الرجل تصانيف عديدة بعضها بالكلدانية وبعضها بالعربيَّة. ومن جملة هذه خطب بيعيَّة بليغة المعاني رشيقة الالفاظ دعاها التراجم السنيَّة للاعياد المارانية نشر منها قسمًا كبيرًا حضرة القسّ الفاضل يعقوب الكلداني الموصلي في مطبعة حضرات الاباء الدومينيكيين في الموصل سنة ١٨٧٣. وقد اسعدنا الحظّ على اكتشاف عشرين عظة أُخرى لم تُنشر بالطبع منها هذه الخطبة التي احببنا اليوم ان نتحف بها القراء بنسبة الصوم المقدَّس. وعلى الله الاتكال ل. ش

الحمد لله المتعالي بوحدانيَّة ذاتهِ عن مماثلة الآحاد. والمتميّز بتثليث صفاتهِ عن مشاكلة ضمّ الاعداد. المُسبَّح بالالسنة المختلفة وسائر اللغات. والمتخصص باعلى المراتب الازليَّة واشرف الصفات. الذي أطلع نجوم الاهتداء في سماء قلوب العلماء. وأروى أفهام الحكماء. بماء الحياة الابديَّة النابع من قلب قليب معين الذكاء. وهدانا باوامرهِ الفضليَّة الى رحاب حظائر الملكوت. ودعانا بفضل شرعهِ الاختصاصي الى جنان سرادق الجبروت. نحمدهُ حمد الراضين بتزارة البِرّ والاقوات. ونشكرهُ شكر الخواص الصابرين على ممرّ الساعات والاوقات

ايها المؤمنين ان الله تقدَّس اسمهُ لمَّا ابدع الأكوان. وجمع تفصيل الوجود في صورة الانسان. خلقهُ من إسطقسَّات متضادَّة الاركان. وميَّزهُ بالنفس الناطقة عن سائر الحيوان. ألحفهُ مطارف الجود والإنعام. وألحقهُ بلطائف العزّ والاكرام. أترلهُ بجبوحة اقليمهِ. واجلسهُ في فردوس نعيمهِ. حذَّرهُ من الاقتراب من شجرة المرفة لئلا يموت بالخطايا. ورغَّبهُ عن ترك التمرُّد والطغيان في نيل اسنى المواهب والعطايا. فنكب عن جَدَد الامر المطاع. وأصرَّ بهواهُ على شهوات الطباع. وتهجَّم بالادلال والاقتدار. واكل من الشجرة المذكورة طيِّب الثمار. فاعترضتهُ الشبهة في باب الهداية. واعرضت في الحال عنهُ العناية. فسقط من ذات الكرامة. وهبط من أوج الفرح الى حضيض الندامة. وطُرد منهُ وهو يعثر باذيال الوَجل. مبرقعًا وجههُ بلثام الحياء والخجل. وخرج الى ارض الاشواك محلّ الشقاء. وأعياهُ داء الخطيَّة حتى لم يقبل البرء بالدواء. فمكث تحت ظلّ المخالفة وطيّ المعاصي. الى ان أيدتهُ العناية بورود الناموس القِصاصي. فبرزت أنوار نهار الشرع المؤنقة. وازهرت اشجار اغصانهِ المورقة. وأُرسلت لموسى بكر الانبياء. والمبشِّر بورود بكر النساء. فكفَّ الجسمَ عن تبسُّطهِ في الشهوات وادَّبهُ. وثقَّفهُ بالاوامر والنواهي وهذَّبهُ. ليبقى في نور العقل والسرّ. مُحاطًا بسور العدل والبرّ. ولا يترجَّح الى عالم الظلمة تارةً. واخرى الى عالم الإثارة. الى ان كمل زمان التعذيب. فلمع شعاع القدرة على احسن النظام والترتيب. وانحدر كنز الاسرار الازليَّة. عن السُّدَّات العليَّة. قُطب اقطاب الوجود. وناظر العالم المشهود والنير المشهود. مُطهِّر البُرص والأوضحين. ومُنهض الزَّمْنَى والمُقعَدين. باعث الاموات الى النشور. ومعيد اعين العميان من ظُلم الديجور. مُقيم آدم من سقطتهِ. ومُنقذ الجنس البشري من غوايتهِ. موضح الايمان الصحيح. سيدنا والهنا يسوع المسيح. فقرَّر القضايا والاحكام. وغفر الخطايا والآثام. ووعد بالحظائظ النَّعيميَّة لمن اطاعهُ. وأوعد بالظلمات الجحيميَّة لمن اهملهُ وأضاعهُ. واوضح من رموز القيامة أسرار المعاد. ممَّا طوتهُ العناية الالهيَّة عن افكار العباد. وثبَّت في دساتير القلوب بقيامتهِ قيامة اجساد الانام. ورفع في دواوين النفوس النَّقيَّة فضل يوم الاحد على سائر الايام. لانَّ فيهِ برز جبَّار العالم من الثغور والأعماق. ملتحفًا برداء النور والإشراق. وفيهِ خلق الله الخلائق. وعرفت الملائكة المقرَّبون اسرارَ الحقائق. فيهِ تكون قيامة المائتين. ويَقظة الغافلين. فيهِ تسكن الاعمال والحركات. ويرقى المُطهَّرون باقدام الطاعة الى أفضل الدرجات

فانظروا ايها المؤمنون بعيون بصائركم وابصاركم. وتأهبوا للقيامة وارفضوا حرفكم وأسماركم. وحدّقوا اليه بعين الاعتبار. وارمقوا مناقب هذه الاسرار. فانهُ يومٌ تدرُّ فيه البركات. وتتضاعف فيه الخيرات. وتُقضى فيه الحاجات. فكونوا على صلاتكم دائمين. ولاوقاتها المفروضة ملازمين وعليها محافظين. وأعلموا انَّ الشرائع الالهيّة أمطت الناس مطايا التكليف. ونقلتهم عن معرّة الخطايا الى محلّ الأكرام والتشريف. ولم تقصد باتعاب الاجسام ومشقّات الصلوات والصيام. الّا أن تُعدَّ لها بذلك اجرًا او ذُخرًا. وتُوصلها الى محلّ الراحات في النشاءات الاخرى

وحدُّ الصلاة انها عبارة لفظيّة يؤديها اللسان. تتضمّن الاعتراف بالله والوفاء لهُ بالضمان. وهي ايضًا تضرُّعٌ وموعظة كاملة. تحت التدبيرات الفاضلة. ومن شروطها صفُّ الأقدام بين يديه. وإفاضة الافكار العقلية لديه. بالعلوم الالهيّة الحقيقية. والنهوض بوظائف الخدمة النفسانيّة. والمسارعة الى إشهار الفُرَص الروحانيّة. والمخاطبة لهُ بالخضوع. والإفراط في الابتهال بالتذلّل والخشوع. واستدامة الشكر لله تعالى والثناء عليه. وتجريد النفس والجسد للوصول اليه. والتقرّب من جنابهِ المقدَّس الطاهر. لانهُ اذا استحكم الأُنس. زال الانقباض في الإنس. واذا حَلَت الثمرة. خُدِمت الشجرة. وكما انَّ الانسان اذا كان من جملة عبيد الملك المختصّين بحضرتهِ. والقائمين بصالح خدمتهِ. يلازم خدمة بابه. ويُعفر خدَّهُ على ثرى أعتابه. حتى يتقاضاهُ البوّاب بالدخول. وينتهز الفرصة عند الادب لهُ بالمثول. واذا حصل في مقرّ مجلسه. لا يتهجّم عليه بالمخاطبة لهُ في امرٍ من اموره المختصّة بنفسه. ولا يَدلّ عليه بخدمة سالفة. ويَمُنّ بجرمة آنفة. حتى يصير من جملة عبيده المختصّين. واوليائه المخلصين. كذلك يجب عليكم أن لا تتجاوزوا حدَّ الآداب. ولا تُشرعوا الى الاقدام في الخطاب. ليكن وقوفكم بازائه كأنّهُ وقوف الملائكة الاطهار. لتشاركوهم في الاطّلاع على مكنون الاسرار. لانكم لا تصلون الى مرادكم ومآربكم الّا بالاجتهاد في العبادة. والخدمة المتّصفة بالزيادة في الزهادة. وليكن وقوفكم بين يديه بقلوبٍ واجفة. ودموع جاريةٍ واكفة. فاذا حضر وقت الصلاة فبادروا اليها. واعكفوا بكليتكم عليها. فانَّ الفروض لا تُؤخَّر عن اوقاتها. الّا عن امورٍ ضروريّةٍ تؤجّل اوان ميقاتها. لانَّ الصلاة لها مواقيت خُصَّت بالقبول. والمحافظة عليها والمبادرة اليها من اعظم الاشياء في إدراك المأمول. والله تعالى يجيب دعوة المُصرّ المتناجي. ولا يُخيب أمل

المُخلص الراجي. لاسيما اذا توكل عليه. وفوَّض امرهُ اليه. واذا واجه الانسان مشرقَ الانوار. أشرق قلبهُ واستنار. وفكَّر في تدبير الله العجيب. واشتاق الى الفردوس الذي هو نُصب عينهِ وفاز باوفر نصيب. لانَّ منهُ تشرق الشمس والقمر وسائر الانوار. واليهِ صلَّى السيد يسوع بناسوتهِ ولم يزل قِبلةً لآدم وذُرّيتهِ الابرار. ويجب عليكم ان تطلبوا الصلاة والتضرُّع وتجتهدوا فيها كلَّ الاجتهاد. فقد صرَّح المُخلص في انجيلهِ المقدَّس الهادي الى أنهج الجوادّ. قائلًا لتلاميذهِ: فاذا قضى الانسان على هذه الصفة واجب صلاتهِ. فانهُ انما قضى دينًا من ديون الله اللازمة لذاتهِ. وواجبٌ عليهِ ان لا يكون من المُتبجِّحين المختالين. بل يقول انني من جملة العبيد البطَّالين. لأنهُ لو خرَّ لله ساجدًا طول عمرهِ على الارض. لما قضى بعض ما يجب عليهِ من وظائف أداء الفرض. الصلاة عُنوان النِّعمة. ومفتاح الرحمة. بالصلاة تنجح المقاصد. ويذلُّ الشيطان المعاند. الصلاة تُسهِّل الامور الصعاب. وتحصل المباغي والآراب. والجدُّ الذنوب بالسهر والصلاة. هو الذي يُنعم عليهِ بالتشريف والصِّلات. الصلاة تُزيل النِّقمة. الصلاة تمدُّ النعمة. بالصلاة تستتر حنادس القلوب. وتطهر الاجسام من الخطايا والذنوب. فكونوا لصلاتكم ملازمين. وبأَهدابها متمسّكين. فانَّ بها تتطهَّر اجسادكم. وتنجلي عقولكم وتصفوا اذهانكم. وتدرُّ ارزاقكم وتطول اعماركم وآجالكم. وبها تصحُّ اجسادكم من الأَوصاب والعِلَل. وتأْمن نفوسكم من الوقوع في الخطإِ والخلل. واقرنوا الصلاة بالصوم. وأَيقظوا نفوسكم من سِنَة الغفلة والنوم

اعلموا انَّ حدَّ الصوم امتناع الانسان من الاغذية والأَشربة ابتغاء جزيل الثواب. ليصير حصنًا منيعًا للنفس والجسد من أليم العذاب. وهو ايضًا عبارة عن رياضتها وتذللها واستكانتها ليتعاونا ويتعاضدا. ويتشاركا ويتساعدا. في دفع الرزايا الموبقات. والقبائح المُهلكات. امَّا النفس فانها تنفطم من رديء الافكار. وامَّا الجسد فيمتنع من التفسيح في الملاذ الليلَ والنهار. ليضعف ويذلَّ وينتهك. ويرتبط بطاعة العقل ويشترك

وبعدُ فانَّ الصوم جعلهُ تعالى سببًا لإِحراز رضاه. وامتحن بهِ قلوب عبادهِ لتقواه. وليتجنَّب الانسان فيهِ المحارم. كاجتنابهِ المشارب والمطاعم. ولتُفطم جوارحهُ من الذنوب. كما يصوم فوهُ من المأكول والمشروب. وأن يشمّر عن ساق الاجتهاد ويترك الونيَّة. ويلازم نفسهُ في ضبطها عن الشهوات الرديَّة. ويَرحض النفس والجسد من أدران الخطيَّة. حتى تصير

مُشرقة كالمرآة العريّة من الردى . المجرّدة عن الاكدار والصدإ . لتتزكّى وتتطهّر . وتشفى وتتجوهر . فتكون استحقّت سرعة الدخول . وصارت اهلًا للسؤل ونيل غاية المأمول

وكما انّ الملك اذا اراد ان ينظر حقيقة بلدتهِ . ويطوف في مدينتهِ . ويتفقّد احوال رعيّتهِ . ويختبر شأن سكّانها . وينظر الى كيفيّة أهلها وقطّانها . سارعوا الى تنظيف اسواقها وشوارعها . وتطهير أزقّتها ومواضعها . ممّا يُطرح فيها من النجاسات . المهلكة لسائر السبل والطرقات . وضعوا الأفاويه الاريجة على نار المباخر . وتسربلوا من الملابس بالحلل الفواخر . مترقّبين جيئتهُ اليهم . وقدومهُ عليهم . فعندما يحضر المدينة . يلمح على محيّاهم الوقار والسكينة . فيكتفي عنهم فرحًا ومسرورًا . وبما شاهد من طاعتهم لهُ مستبشرًا مجبورًا . فكذلك يجب على الانسان اذا صدقت عزيمتهُ . وتحقّقت على الصوم نيّتهُ . أن يزجر نفسهُ عن فعل القبائح الذميمة . المكسبة لهُ الآثام والاوزار . ويمنعها عن ارتكاب الفواحش ويتطهّر من الاوضار والاقذار . ويجتهد في تلطيف حواسه الكثيفة . وتهذيب افكاره السخيفة . فانّ شرف العطيّة . منوط بحسن النيّة . واما امتناعنا في الصوم نهارًا عن المآكل والمشارب . ففيه عدّة فضائل ومناقب . منها ان نعرف حدّ الجوع وقدر صعوبتهِ . وتألم الجسد عند انقطاع مادّتهِ . وان تحلّ الرحمة في قلوبنا التّواسي لاخوتنا المساكين . ونُساهم من فاضل اقواتنا ومُقتنَياتنا الفقراء المحتاجين . ليصير المعروف خالصًا لله . والفعل مواقفًا لرضاه . ومنها ان يقوى فكرنا في فعل الخير وطلب الاجر والثواب . المرجو نيلهُ مع وجود شرائط الاخلاص من لدن ربّ الارباب . ومنها ان نتشبّه ونقتدي بالسيد المسيح . الذي هو فريدة عقد الايمان الصحيح . لأنهُ صام من غير حاجة لهُ اليه . ولا ضرورة لازّة عليه . وكيف يحتاج قابل الاصوام الى الصوم والجوع . وهو المؤيّد وعليهِ التكلان واليه المعاد والرجوع . ونتشبّه ايضًا بالانبياء المُنتخبين . وسائر الآباء والسلّيحين

وكما انّ الملك اذا رام أخذ مدينة من المدائن . والاستيلاء عليها وعلى ما حوتهُ من الخزائن . واختار قهر اهلها وادخالهم في طاعتهِ . تقدّم الى ارباب دولتهِ . والذابّين عن حومتهِ . والحافظين لحوزتهِ . والمؤثرين امضاء مصالحهِ ومناصحتهِ . بقطع الاقوات والميَر والموادّ . الواردة اليها من جميع الاصقاع والبلاد . حتى يُسلموها اليهِ بالغصب كارهين . وباختيارهم طائعين . كذلك يتمّ لنا اذا رُمنا الاستيلاء على شهوات الاجساد . فنقطع عنها جميع ما يُمِدّها ويُعصيها من سائر الموادّ . لانّ بالاكل والشّره خرج آدم من فردوس

النعيم. ومُنع من الوصول الى محلّ الخير المُقيم. وبالصوم قهر السيدُ المسيح الشيطانَ. ودحرهُ فقهقر مدبرًا بغير سلطان. وبالصوم خاطب الله موسى الكليم. وأنزل على يدهِ الالواح المتضمّنة كلامهُ العظيم. وبالصوم منع يشوع بن نون (١ الشمس حين جنحت للغروب. ووقفت طالعةً مشرقةً حتى تخلّصت القلوب المكروبة من أرداء الحروب. وبالصوم رُقّي اليّا النبي الى المرتبة العالية. وورث البقاء الابدي في دار باقية. وبالصوم وطئ الثلاثة الفتية على إجاج النار. وأُطفئت امام الاعداء وتخلّصوا من الأئمة الكفّار. بالصوم خلص دانيال النبي من افواه الأُسد الضارية. وأبعد الشكّ واللّبس عن القلوب الطاغية. وبالصوم خلّص الله اهل نينوى من السخط الحالّ بساحتهم. وانقذهم من الهلاك والبلاء عند استغاثتهم اليهِ في شدّتهم. فعاد برحمتهِ اليهم. وادركتهم شفقتهُ عليهم. فادخلهم الى حظائرهِ القدسيّة وآنسهم. بعد ما كان من رحمتهِ آيسهم. ومحا قبائح الاوزار والآثام. وتجاوز عن سائر الذنوب والاجرام. بالصوم رفع ما كان قد استحق بهِ اهل البصرة بواسطة يوحنّا الازرق (٢. وبتضرعهِ وطلباتهِ الى الله انكشف ما نزل بهم من الاختبار واتّضح الغسق. الصوم يخضع الابدان ويُخشع القلوب. ويستر العيوب ويمحق الذنوب. بالصوم تتجوهر الاجسام. وتستنير الانفس في الظلام. بالصوم تصفو الافكار. وتضيء العقول والابصار. نعم الوسيلة الصوم فانهُ اذا دام ألحق الكثيف باللطيف. ورفعهُ الى مقام شريف. وألحقهُ بطبقة الانبياء والابرار. ومزجهُ بزمرة القديسين الاخيار. اعتصموا بالصوم وواظبوا عليهِ. وتمسّكوا بهِ وادلجوا اليهِ. الصوم منزلتهُ عظيمة. وحرمتهُ جسيمة. الحسنة فيهِ جزيلٌ اجرها. والسيّئة فيهِ ثقيل وزرها. الصوم لا يُردّ فيهِ سائل. ولا يضيع فيهِ امَل آمل. الصوم يُوقظ الاحسان من السِنَة. فبادروا اليهِ شكرًا لله ولا تفتر منكم الألسنة. الجسد المتعوب بالصوم. هو الذي يُلقي الارواح في الراحة في ذلك اليوم. البدن الخالي من الطعام. يجعل النفس مجرّدةً من الآثام. بالصوم تنفطم النفس عن هواها. ويصحّ لها تقواها. وتتشبّه باوصاف الملائكة. لتستحقّ معهم

---

١) لم يذكر الكتاب الكريم انقطاع الاسرائيليين عن الاكل في عهد يشوع بن نون. ولعلّ المؤلّف يريد امر شاول بذلك عند محاربتهِ الفلسطينيين (١ ملوك ١٤ : ٢٤)

٢) هو احد زعماء الرهبان ابتنى ديرًا في جهات البصرة وكان سابقًا نجّى اهلها من جائحة نزلت بهم فاودت بحياة كثيرين منهم. عاش في اواخر القرن السابع للمسيح وصار اسقفًا على الحيرة

المشاركة. فلتتخذ الاغذية. على سبيل الادوية. فانَّ الادوية يُنتفَع منها بالنزر اليسير. ويتضرَّر بالمقدار الكثير. وانَّ دواء تستبشمونهُ وفيهِ شفاؤكم. خيرٌ من غذاء تلتذُّون بهِ وفيهِ اذاكم. واوصيكم احبَّائي اذا تحققت عزائمكم على الحضور في البيعة. والمشاركة للجماعة في الاطّلاع على اسرار الشريعة. ان تتسربلوا بالملابس الطاهرة. وتتجلببوا بالاثواب الفاخرة. وكونوا لأوقات الصلاة مراقبين. ولمراتبكم ملازمين. وتلقَّوا موارد الصليب. بقلبٍ في الامانة صليب. لانهُ قبلة الساجدين. ومحراب المتهجدين. واذا تُليت كتب اخبار السليحين الاطهار. والانبياء المُنتخبين الابرار. اجلسوا عند اجتماعها. وانصتوا عند القرآة لاستماعها. لانها متضمنة سائر الوصايا. وما انذرت بهِ الانبياء على ظهور مخلّص البرايا. فاذا تلا الشماس رسائل بولس السليح. فقابلوها بالتهليل والتسبيح. وانظروا الى من كان للرعايا المسيحيَّة مضطهدًا. وفي خراب البيع المقدَّسة مجتهدًا. فصار من بعد ذلك عماد الدين. ومنارًا يشرق اضواءَ كلامهِ في قلوب المؤمنين. فكونوا لصلاتكم سامعين. ولاوامرها طائعين. واذا خرج الكاهن بالانجيل. فتلقوهُ بالاكرام والتبجيل. لا بل بالتمجيد والتهليل. والتسبيح والترتيل. لانهُ ديوان مفيد الحياة. وآية الخلاص والنجاة. وروضة آداب الحقائق. ونزهة ألباب الخلائق. ومنبر الاسرار والحكم. ومعين الاخيار على أحسن الحلال والشيم. من زواخر بحورهِ تقتنص موارد الفرائد سرًّا. ومن بواطن اصدافهِ تستخرج الاذهان السليمة عقيانًا ودرًّا. فكونوا بالزواجر متعظين. وباوامر الكتب الالهيَّة متحفّظين. أجهروا الاقرار بالامانة الارثوذكسيَّة. التي قرَّرها الآباء الاطهار بمدينة نيقيَّة. فهي التي وقع عليها الاعتماد. وعليها صحَّ الاعتقاد. اجتمعوا عند تقديس الاسرار الالهيَّة. وأصغوا الى ما رتَّبتهُ الاباء من القوانين السليحيَّة. انظروا الى الكهنة خدمة المذابح. يستغفرون لكم الخطايا والقبائح. لتكونوا في الجسد البيعي اعضاء رئيسيَّة غير محذوفة. وانوارًا مشرقةً غير مكسوفة. لتمتزجوا مع زمرة الاطهار في عالم الملكوت. وتبتهجوا بسواطع الانوار المشرقة في شعاع اللاهوت. اقرأوا السلام على بعضكم بعضًا بمحبة اتحاد القلوب والاجساد. وتواهبوا الإحن القديمة والضغائن المهلكة وسائر الاحقاد. ولا تمزجوا صلاتكم بالاحاديث والخرافات. التي تجلب عليكم البلايا والآفات. فالقلاية البطريركيَّة منكرةٌ ذلك عليكم. ومجرِّدةٌ سيف حَرْدها لديكم. كونوا مُهملين هذه المعاني العجيبة. التي قد ألبستكم المسبَّة عند باقي المذاهب الغريبة.

وانّ القلاية البطريركيّة المقدّسة قد أغمدت برحمتها ما جرّدت . وعادت بشفقتها الابويّة عمّا كانت اضمرت . واعتذرت عنكم كون اكثركم لا يعرف التفسير . ولا يصل فيه الى ما يقال من الزجر والتحذير . فهي الآن تعرّفكم ان كلّ ما يقولهُ الشماس خاصّةً من القوانين . يتضمّن الامر معلماً بان لا تتحدّثوا في صلاة الرازين (١ . بل قفوا باقدام الطاعة القلبيّة . على ابواب المذابح المسيحيّة . واختبروا انفسكم قبل تناول الاسرار المصونة . والمواهب المقدّسة المكنونة . وتناولوها بقلوبٍ متّحدةٍ مؤتلفة . ونفوس الى مصاعد الخيرات منعطفة . واشكروا الله شكر الارض لهطل الامطار . واثنوا عليهِ ثناء العبيد المخلصين للسادة الاحرار . وارجعوا الى بيوتكم وانتم منطبعون بسكّة الثالوث . وعلى صفحات وجوهكم ومحيّاكم آثار بركة الطيبوث (٢ . نزع الله عن افئدتكم قناع ظلمة الضلال . واسدل عليكم وارف الاهتداء والظلال . بشفاعة الآباء المنتخبين . والانبياء المختارين آمين

اصول الحساب السنوي

للاب موريس كولنجت اليسوعيّ مدرّس الطبيعيات في مكتبنا الطبي

جعل الله عزَّ وجلَّ حياة الانسان على الارض اطواراً تتناوب عليها اوقات الشغل وآونة الراحة يستعيد بها المرء قواه المتضعضعة . ولذلك اراد تعالى ان ترسل الشمس علينا انوارها الساطعة في ساعات معلومة ثم يُسبل الليل ستاره فتسودُ ظلمةٌ لا ينفي حُلكتها غير اشعّة الكواكب ونور القمر

وعليهِ فانَّ تعاقب النهار والليل تقسيمٌ مبنيٌّ على الطبيعة نفسها . ولو كان الانسان يمكنهُ ان يقصر نظرهُ على يومهِ الحاضر لكان هذا التقسيم كافياً لحاجاتهِ . لكنَّ الامر ليس كذلك فانَّ للمرء اياماً عاش بها سابقاً يحتاج الى تذكار احوالها وتعيين زمن وقوعها

(١ هي كلمة سريانية معناها الاسرار اراد بها القداس (٢ هي بالسريانية النعمة اراد بها القربان الاقدس

كما انَّ المستقبل يهمّهُ فيستدعي التفاتهُ. وكنا نودُّ ان نقف على حوادث التاريخ الماضي ونقصد المقاصد التي لا تتمّ الَّا بتوالي الايام ولا بدَّ لتعريف كلا الزمنين من طريقة سهلة غير حساب الايام التي لا تفي بالمرغوب لارتباكها ووَفرة اعدادها التي يصعب حفظها. فان قلتَ مثلًا انَّ جدّي احتلَّ دمشق فتوطّنها منذ ١٠٩٥٧ يومًا وانَّ نابوليون الاول فتح مصر منذ ٣٦٦٨٩٨ يومًا لكان ذلك مجلبةً للاوهام والسأم

وعليهِ فقد اقتضى على الانسان منذ اوَّل عهدهِ ان يخترع لهُ طريقةً حسابيَّةً يجمع فيها الايام فيجعلها اطوارًا محدودةً متوسّطةً بين الطول والقصر تتعلّق على قدر الامكان باوضاع مشهورة خارجة عن ارادة البشر فلم يجدوا لذلك انسب من الظواهر الفلكيَّة فاسندوا اليها تواريخهم

ولمَّا كانت الحركات الفلكيَّة متنوّعة نتج عن ذلك اختلاف في التواريخ فمنها ما ينوط بدوران الشمس ومنها ما يرجع الى حركة القمر او سير النجوم في افلاكها. ويجوز ان يُقاس تاريخ الزمان بايّ حركة كانت بشرط ان تكون منظَّمة كحركة الرقّاص مثلًا ذهابًا وايابًا لكنَّ الآلات البشريَّة مهما بلغت من الكمال لا تلبث ان تخفَّ حركتها الى ان تخمد تمامًا. والحركة المتداومة من الامور المستحيلة في ارضنا. امَّا الاجرام السمويَّة التي تدور في السماء دون ان يلطّف سيرَها المنتظم احتكاكُ بعضها ببعض فانها نعم المقياس للزمان لثبات حركتها

ومن التواريخ التي شاعت بين البشر تاريخ السنة القمريَّة ولمَّا كان للقمر حركات مختلفة اتَّخذ بعض الشعوب حركتهُ الشهريَّة كقاعدةٍ لتاريخهم وذلك منذ بدء إهلالهِ حتى انتهاء وجوههِ وعودهِ الى رأس الهلال. ومن خواصّ القمر انَّ حركاتهِ سهلة المراقبة اللهمَّ الَّا في الساعات الاولى التي تسبق ظهورهُ هلالًا. فيُلتجأ حينئذٍ الى الاعمال الحسابيَّة لتعيين هذه الساعات. وقد وضع العرب ازياجًا لذلك. منها كتاب تلخيص الاعمال في رؤية الهلال لابي حسن علي

ودوران القمر الشهري بتسعة وعشرين يومًا و١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة وثانيتين و ٦٠/٪ من الثانية. والسنة القمريَّة تتركَّب من ١٢ شهرًا ستَّة منها ايَّامها ٢٩ يومًا وستَّة ٣٠ لكنَّ مجموع هذه الشهور لا يوافق عددًا تامًّا من الايَّام بل هو بين ٣٥٤ و ٣٥٥ يومًا. ولتلافي هذا الاختلاف يضاف يومٌ الى الشهر الاخير في بعض السنين

القمريَّة وذلك ١١ مرَّة في كلّ ٣٠ سنة. ومن خلل التقويم القمري انهُ يقطع النظر عن فصول السنة الاربعة فيقع الشهر الواحد في الشتاء حيناً وفي الصيف حيناً آخر. وقد استدركت بعض الامم هـذا الامر بان وضعت لها تقويماً يؤلف بين السنة الشمسيَّة والسنة القمريَّة. فهي تستند الى القمر ووجوهه لتحديد الوقت لكنَّ اصحابها يتَّخذون سبع مرَّات في كلّ ١٩ سنة شهراً اضافيًا يزيدونهُ بعد آذار ويدعونهُ آذار الثاني (واذار) يتركَّب من ٢٩ يوماً. والسنة الحاليَّة عند الاسرائيليين هي السنة ٥٦٦٠ وشهورها ١٣ لزيادة شهر آذار الثاني عليها وهو يبتدئ في اليوم الثاني من آذار الشمسي

هذا وللسماء ما خلا القمر حركة منتظمة لا تخفى على بصر احد نعني بذلك حركة النجوم الثابتة في الرقيع فاذا رصدتَ مثلاً نجماً من النجوم يمرُّ في ساعة معلومة على هاجرة بيروت وعدتَ الى رصده ثاني يوم في الساعة نفسها وجدت النجم ذاتهُ يمرُّ في الهاجرة فاذا قسمت مدَّة الوقت الثابت الذي مرَّ بين الرصدين الى ٢٤ قسماً نلتَ بذلك ما يدعوهُ اهل الهيئة يوماً نجميًا غاية في الضبط. على انَّ الناس عادةً يرجعون في اشغالهم الى دوران الشمس لا الى الكواكب. وبين اليوم الشمسي واليوم النجمي اختلاف لانَّ اليوم الشمسي اطول من النجمي. فاذا رصدتَ مثلاً الشمس وكوكباً ثابتًا عند مرور كليهما في هاجرة بيروت في ساعة معلومة ترى في اليوم التالي انَّ الشمس تأخَّرت عن مرور الكوكب نحو ٤ دقائق ولا يزال هذا التأخُّر يتزايد حتى انَّ الكوكب المذكور والشمس لا يعودان الى مرورهما في الهاجرة ذاتها في وقت واحد الَّا بعد ٣٦٦ يوماً وربع يوم. ومن ثمَّ ينتج ان اليوم النجمي يبتدئ تارةً في النهار وتارةً في الليل فلا يُمكن الركون اليه في المعاملات العاديَّة. وفي الاجمال ترى الناس جميعًا يرجعون الى الشمس ودورانها مع ما يظهر في حركاتها من الاختلاف. ولذلك اتخذوا الشمس كقاعدة لقياس الوقت كما انَّها قياس طبيعي للشغل اذ هي تفصل بين النهار والليل

قلنا انَّ اليوم الشمسي اطول من النجمي بيد انَّ هذا الاختلاف ليس بثابت اعني انَّ الشمس لا تمرُّ في هاجرة مكانٍ واحدٍ بسرعةٍ متساوية اي ليس لليوم الشمسي طولٌ مقرَّر. ولا نتكلَّم هنا عن طول الساعات التي بها تنير الشمس بل عن اليوم الشمسي الحقيقي من ظهر يوم الى ظُهر يوم آخر حتى انَّنا لو ضبطنا اليوم

ساعتنا على الظُّهر الحقيقيّ لا نجدها غدًا توافق ظُهر الشمس. ولهذا الاختلاف سببان الاوَّل عدم مساواة حركة الشمس الظاهرة في سيرها على دائرة البروج. والسبب الثاني ميل سطح دائرة البروج على سطح دائرة خطّ الاستواء بقدر ٢٧َ ٢٣ْ . امَّا المواجر فخطوطها عموديَّة بالنسبة الى خطّ الاستواء وعلى هذا الخط تُقاس أقواس صُعود الشمس المستقيم. ومن ثمَّ فانَّ هذه الاقواس ليست نفس الاقواس التي ترسمها الشمس بل انعكاس هذه الاقواس على خطّ الاستواء . والانعكاس المذكور يختلف كلّ يوم كما لا يخفى

ولاستدراك هذا الخلل اخترع الفلكيُّون يومًا وهميًّا يدعونهُ اليوم المتوسّط بدلًا من اليوم الحقيقيّ الذي لا يمكن قياس الوقت عليهِ. وذلك أنَّهم توهَّموا ان الشمس تسير لا على دائرة البروج كما تجري في الواقع بل على خطّ الاستواء بسرعة متساوية واستنتجوا من هذه المقابلة انَّ اليوم الحقيقيّ يختلف عن اليوم المتوسّط بنحو ربع الساعة امَّا زيادةً وامَّا نقصًا. وهذا ما يدعونهُ نسبة الوقت وعلى هذا الزمن المتوسّط بنوا قياس الوقت. ولا تدلُّ الساعات المضبوطة على غيرهِ. امَّا المِزْوَلة اي الساعة الشمسيَّة (cadran solaire) فانَّها تدلُّ على الوقت الحقيقيّ فان اردتَ ان تضبط ساعتك عليها فلا بدَّ ان تضيف اليها نسبة الوقت او تخصمها لتستدلّ على الوقت المتوسّط

ولكن لا يكفي للحساب السنويّ ان يُحدّد اليوم بل يَقتضي عليهِ ايضًا تحديد السنة واقسامها الشهريَّة. فاختاروا للدلالة على السنة المدَّة التي تقضيها الشمس منذ سيرها من احدى نقط الاعتدال الربيعيّ الى زمن رجوعها الى هذه النقطة عينها (١. وهذه السنة تدعى سنة دائرة الانقلاب (année tropique) وهي اقصر من السنة النجميَّة

١) اعلم انَّ السنة المدنية لا تبتدئ في الاعتدال الربيعي كسنة دائرة الانقلاب فلّا تقع مثلًا في سنتنا الحاليَّة ١٩٠٠ في ٢١ آذار الساعة الاولى والدقيقة ٤٨ بل كثيرًا ما اختلف وقوعها. فالبعض جعلوا بدء سنتهم في ١ آذار والبعض في ٢٥ ك١ يوم عيد ميلاد الرب والبعض في ٢٥ اذار يوم عيد البشارة. لكن كرلس التاسع ملك فرنسة قرَّر لمملكتهِ سنة ١٥٦٤ ان يكون بدء السنة في ١ ك ٢ فجرت بقيَّة الدول على هذه العادة فعمَّت اليوم كلَّ البلاد. امَّا تقسيم الشهور وعدد ايَّامها فذلك يرتقي الى عهد يوليوس قيصر

لسبب مبادرة الاعتدالين المدعوَّة ايضًا بالكبْو (la précession des équinoxes) وهي انتقال تقاطُع دائرة البروج وخطّ الاستواء شيئًا فشيئًا من الشرق الى الغرب

هذا ولا بُدَّ من تعيين مدقَّق لعدد ايَّام هذه السنة بقياس الزمن المتوسّط لأنَّهُ اذا دخل في هذا الحساب غلَطٌ صغير زاد الغلط بتوالي الاعوام حتى انهُ يضحي فاحشًا بمرور الاجيال. وهذا ما جرى في التقاويم القديمة فانَّ اصحابها لم يبالوا بكسور الاعداد كالساعات والدقائق فاقتضى تغافُلهم اصلاح الحساب مرارًا عديدة

ومن تصفَّح تاريخ المصريين الذين بنوا حساب سنتهم على دوران الشمس وجد خللًا كبيرًا في حسابهم وكان عدد ايَّام سنتهم ٣٦٥ يومًا فقط دون زيادة ولا كبس فنتج من ذلك انَّ بدء سنتهم اختلف اختلافًا كبيرًا

فلمَّا صار الامر الى يوليوس قيصر تأثَّر من جرَّاء هذا النقص وسعى مع احد مشاهير الفلكيين من يونان الاسكندريَّة اسمهُ سوسيجان (Sosigène) باصلاح هذا الحساب وجعل ايَّام السنة ٣٦٥ يومًا وربعًا وفقًا لحساب الفيلسوف هيبرخس. امَّا السنة المدنيَّة فابقى عدد ايَّامها ٣٦٥ يومًا. ثمَّ اضاف ربع اليوم الزائد الى ثلاثة ارباع أُخر فصار من ذلك يوم تامٌّ كان يُزاد في آخر شهر شباط كلَّ اربع سنوات فيصير ٢٩ يومًا بدلًا من ٢٨ وهي السنة الكبيسة

ولمَّا تنصَّر العالم الرومانيّ على عهد قسطنطين الكبير اتخذت الكنيسة في مجمعها الاوَّل العامّ المنتئم في نيقية حساب يوليوس قيصر على علَّاته. الَّا انَّ اليوم الاضافيّ في كلّ اربع سنين كان يُزاد بين ٢٣ و ٢٤ شباط لا في آخرهِ. ولمَّا كان اليوم ٢٤ يدعى عند الرومان اليوم السادس قبل دخول آذار (Sexto Calendas Martii) دُعي اليوم الاضافي «السادس الثاني» (bis Sexto) ومنهُ اخذت الكنيسة اللاتينيَّة اسم السنة الكبيسة (bissextilis)

وبقي الحساب على ذلك نحو ١٢٥٠ سنة الى اواخر القرن السادس عشر فوجدوا انَّ الحساب اليوليّ لا يخلو من العيب وانَّهُ لا يوافق دوران الشمس وفصولها. ولا غرو لانَّ السنة اليوليَّة تحسب السنة ٣٦٥ يومًا وربع يوم مع انَّها في الحقيقة تنقص عن ربع اليوم ١١ دقيقة و ٣٩ ثانية فهذه الدقائق اذا جُمعت حصل منها يومٌ كامل في كلّ ١٢٩ سنة. وكان الخطأ بين الحسابين يبلغ عشرة ايام سنة ١٥٨٢ حين تمَّ اصلاح

الحساب المعروف بالغربي وهو يُدعى ايضًا الحساب الغريغوري لانَّ الذي قام بهذا المشروع الجليل هو البابا غريغوريوس الثالث عشر بمساعدة كثيرين من العلماء من جملتهم الاب كلافيوس اليسوعي الفلكيّ الشهير. فحكم الحبر الرومانيين ان يُسقط عشرة ايام من تلك السنة من شهر تشرين الاوَّل فحسبوا اليوم الخامس منهُ اليوم الخامس عشر فكان عدد ايام ذلك الشهر ٢١ يومًا فقط

ولتلافي الخطأ في المستقبل اتخذت هذه القاعدة وهي ألّا تُكبس السنون ثلاث مرَّات في كلّ اربعمائة سنة وعليه فانَّ السنين ١٧٠٠ و ١٨٠٠ و ١٩٠٠ ليست بسنين كبيسة امَّا السَّنة ٢٠٠٠ فتُكبس كما كُبست سنة ١٦٠٠. وهذا الاصلاح مع ضبطهِ لا يخلو من خطإ صغير يبلغ كلّ ٤٠٠ سنة بعض دقائق ويصير يومًا كاملًا بعد ٤٠٠٠ سنة. وهو خطأ لا يُعبأ بهِ ويصلحهُ اخلافنا بعد اربعين قرنًا

واصلاح الحساب على المذهب الغريغوري دخل فرنسة في ١٠ ك ١ من سنة ١٥٨٢. وجرت عليهِ دول المانية الكاثوليكيَّة سنة ١٥٨٤ ودولها البروتستانيَّة سنة ١٦٠٠ وانكلترة سنة ١٧٥٢. وفي السَّنة الماضية قد اقام قيصر الروسيَّة لجنة من علماء الجمعيَّة العلميَّة في بطرسبرج وكل اليها ان تسعى بدل الحساب الشرقيّ واتخاذ الحساب الغريغوري. وليس لذلك سبب آخر الّا كون الفرق بين السَّنة الشمسيَّة والحساب اليوليّ لا يزال يزداد يومًا فيومًا. وبعد ان كان وصل الى عشرة ايَّام على عهد البابا غريغوريوس ها قد بلغ في غاية شباط من سنتنا الحاليَّة ١٣ يومًا لان سنتنا هذه هي كبيسة في الحساب اليوليّ ولا كَبس فيها في الحساب الغريغوري وغاية ما نتمنَّاهُ انَّ يبطل الحساب القديم وتتَّفق كلّ الممالك والدول النصرانيَّة في وحدة الحساب ويضحي اتفاقهم هذا في المباحث العلميَّة ضامنًا لاتفاقهم في الدين وائتلاف قلوبهم آمين

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الخامس

في جزيرة كلنلند

وكان فاضل واقفًا مع القبطان على ظهر الباخرة فلمَّا مالت الى جنبها سقط في اليم

غائصاً في اللجّة بقوّة دوران المياه من جراء غرق السفينة فظنَّ وقتئذٍ انَّ ساعتهُ قد دنت. غير انهُ تشدّد باذلًا منتهى الوسع والمقدرة حتى تمكّن من الصعود الى وجه الماء. ثم سبح الى رأس صغير قريب من هناك وقد قاسى عذاباً عظيماً قبل الصعود اليهِ من الصخور المائنة التي مزّقت يديه ورجليه تمزيقاً بنتوآتها الحـدَّدة. ولمَّا نجح اخيرًا بالصعود الى البرّ جثا على ركبتيهِ وهو شاخص ببصرهِ الى البحر وشكر الله تعالى لكونه خلّصهُ هذه المرَّة ايضاً من بين انياب الخطر. وحينئذٍ خطرت على بالهِ نصائح ذاك المرسل الذي رآهُ في داڤسون وتذكَّر اقوال الراهبة ماري جانّ وأرليك فاخذ يذرف الدمع السخين ندماً وحزناً على ما فات

وبعد ان بكى طويلًا وسكن ما جاش فيهِ من التأثير حدَّق ببصرهِ في الافق ليرى هل تيسَّرت النجاة لاحد من ركّاب سفينتهِ. وبالغ في النظر الى البحر فلم يشاهد شيئاً فقال في نفسهِ: انَّ البحارة لا بدَّ ان يكونوا قد نجوا بانفسهم وصعدوا الى احد الشواطئ. وعزم انهُ متى نشفت ثيـابهُ ووجد لهُ مأوًى يذهب للبحث عنهم وربَّما يتسنَّى لهُ ذلك أقام وحدهُ في ذاك الشاطئ المقفر حيث لا أنيس ولا جليس فوراءهُ سلسلة من الجبال ممتدَّة نحو الشرق والشمال الشرقي وتجاههُ تلك الصخور المائنة التي جرَّحت جسمهُ وذاك الخليج الكريه الذي فيهِ غرقت السفينة كلڤلند. وبما انهُ لم يكن يعرف للجزيرة اسماً سمَّاها باسم السفينة التي غرقت عند ساحلها ومدَّ نظرهُ الى بعيد فلم يشاهد اقلَّ اثر للعمران ولا دليلًا على سكنى الانسان فشقَّ عليـهِ ذلك جدًّا وحزن حزناً بليغاً واخذ يقول في نفسـهِ: «ان نوتيَّة كلڤلند هم جميعاً من مهرة السبَّاحين ويمكنهم ان ينجوا من الخطر سباحةً ولكن من يدريني هل استطاعوا ان يخرجوا من قلب السفينة قبل غرقها حتى يتمكَّنوا من النجاة لاسيما وان الحادث قد جرى فجأةً على غير انتظار؟. ويا ليت شعري اذا كانوا قد غرقوا ولم ينجُ منهم احد فكيف استطيع ان اقضي الايام في هذا السجن الذي لا ينتهي الّا بنهاية الحياة دون جليس أقاسمهُ احزاني وأفراحي وابوح لهُ باسراري وافكاري وأشاطرهُ غموم عزلتي وانفرادي. ولا اظنّ ان البواخر تمرُّ تجاه هذا الشاطئ اصلًا واذا مرَّت فهل تلحظ ان فيهِ انساناً يطلب نجدتهـا. ثم اني اذا بقيت منفردًا فمن اين لي ان أحصّل اقواتي وليس معي سوى مدية ضعيفـة قد علاها الصدأ في جيبي؟»

وبينا هو يحدث نفسهُ بهذه الافكار سرى الفشل في اعضائهِ كما يسري الخمر في عروق الشارب وشعر بخور القوة ووهن العزيمة. ولا ريب انَّ ذلك كان عقابًا على ذنوبهِ الكثيرة ولكنَّهُ ابى ان يفهم ذلك

وبالنظر الى ما حلَّ بهِ من التعب تمدَّد على صخر عالٍ واخذ يتفكَّر في نحس طالعهِ وشؤم حظّهِ ثم اخذهُ النعاس فرقد ولمَّا استيقظ شعر بجوع شديد فذهب الى الشاطئ واخذ ينتزع من الصخور اصدافًا كالبطليموس تملَّقت بها ويأكلها بنهمٍ. وكان البحر وقتئذٍ قد هدأ وتراجعت المياه الى حالها فشاهد في وسط الخليج طرفًا من حيزوم السفينة كلفلند قد تفكَّك وطاف على وجه الماء فجدَّد فيهِ هذا المشهد تذكار احزانهِ المرَّة

وبعد ان أشبع جوعهُ ممَّا يلتقطهُ من الصدف عاد حزينًا من الشاطئ الذي كانت مياه البحر قد اخذت تقذف اليهِ بعض حطام السفينة وجلس على الصخر وفاضت الدموع من عينيهِ سخينةً مدرارةً. وتمثَّلت لهُ جميع ادوار حياتهِ من وقت نزولهِ الى بيروت ووداع والدتهِ للمرَّة الاولى حتى هذا اليوم الذي فيهِ اصبح في جزيرة قفراء ينتظر حلول المنيَّة. وكان يتذكر قرية الوادي التي ولد فيها ثم ما جرى لهُ على ظهر باخرة المساجري يوم سفرهِ الى مرسيلية وما اصابهُ في نيويرك وسان فرنسيسكو ومناجم كاليفورنية وتلك الليلة التي ثارت فيها الزوبعة وهربهُ من شيكاغو وغناهُ والتقاءهُ ببروسبر اولري ورحيلهُ الى الاسكا ومضايق شيلكوت وموت بروسبر اولري. ثم مدينة داوسون وتداويهِ في مستشفاها وعزيمتهُ على التوبة وتجدُّد طمعهِ في الذهب وقتلهُ نسيبًا واخيرًا سان ميشل والسفينة كلفلند وأُلريك والغرق

وبينا هو كذلك اخذ بسائقة الطبع يبتهل الى البتول القديسة تاليًا بالعربيَّة ما كان قد تعوَّد تلاوتهُ في صغرهِ من الصلوات لسيدة الوادي

وما كاد يفرغ من صلاتهِ حتى سمع ما بين الصخور وقع اقدام فظنَّ ان ذلك وهمٌ وقال في نفسهِ: «انَّ هذا حجر يتدحرج على الصخور او صدمة من امواج البحر». غير انَّهُ نهض من محلّهِ وتطلَّع حولهُ فلم يرَ شيئًا فعاد الى مقرّهِ وما كاد يجلس حتى ظهرت لهُ من وراء الصخر صورة يعرفها فصرخ حالًا باعلى الصوت: «أُلريك أُلريك» واسرع

الى ذاك النوتي الفتى يعانقهُ ويضمُّهُ الى صدره وفرح كثيرًا برؤية مخلوق حيّ في صحبتهِ لاسيا ذاك الغلام الذي انس بعشيرتهِ في السفينة

فقال ألريك: «يا لغزارة رأفة العذراء القديسة فانها استجابت طلبتي. وقد تذكَّرتك وسألتها من اجلك. ألا ترى انها خلّصتنا كلينا معًا فحقّ علينا ان نشكرها». ثم جثا الاثنان واخذ فاضل يصلّي بتأنٍ وخشوعٍ زائد كما لو كانت العذراء حاضرةً امامهُ. فلمَّا فرغا من الصلاة قال ألريك لفاضل هلمَّ اتبعني لاني محتاج الى مساعدتك وعونك

فلحق فاضل بألريك دون ان يتمكَّن من سؤالهِ عن السبب لان ألريك كان يقفز كالغزال على الصخور. فبعد مسير ربع ساعة تقريبًا شاهد ألريكَ قد وقف فاسرع للحاق بهِ فاذا بهاريس نفسهِ ملقىً على الرمل لا حراك بهِ ولا حسّ. فانحنى ألريك في الحال واضعًا أذنيهِ على صدره ثم صاح بفرحٍ قائلًا: «انهُ لم يزل حيًّا ولعلّي بمعاونتك يا فاضل استطيع ان أنقذهُ»

امَّا فاضل فما كاد يصدّق عينيهِ وتعجَّب من ألريك كيف يظهر هذه العناية بمن كان يضطهدهُ. ثمَّ اخذ يتفكَّر في كيف وُجد هاريس متمدِّدًا على الشاطئ أقذفتهُ الامواج الى هناك ام جاء ساحةَ ثم خارت منهُ القوى فأغمي عليهِ وكيف استطاع ألريك ان يصادفهُ

وبينما فاضل يتفكَّر في هذه الامور كلها اقبل ألريك يفرك هاريس بقوَّةٍ ليردَّ اليهِ الحرارة فلمَّا رآهُ يفعل اقبل اليهِ يعاونهُ وفيما كان كلاهما يجتهدان في اعادة الدورة الدمويَّة اليهِ التفت ألريك فقال دون ان ينقطع عن العمل: «اني لمَّا شعرتُ بصدمة السفينة افتكرت في هاريس وقلتُ انهُ سيغرق لا محالة لكونهِ مكبَّلًا بالقيود. فبادرت من ثمَّ الى الربَّان لكي يأمر بفكّهِ شفقةً عليهِ ويسلّمهُ مفاتيح الاغلال. غير اني بعد ذلك لم اعرف ماذا جرى سوى اني وجدت نفسي سابحًا وانا اعضد هاريس هذا الذي كان اصفرَّ لونهُ كالزعفران وعجز عن السباحة. ولا شكَّ اني لم اكن اقدر على اسعافهِ وايصالهِ الى البرّ لو لم يكن متمنطقًا بمنطقة من الفلّين. امَّا كيف قدرت على الخروج من السفينة وكيف امكنني اخراجهُ منها وكيف منطقتُهُ بهذه المنطقة فلا استطيع ان اعرف كيف تمَّ ذلك كلُّهُ وغاية ما اقول ان العذراء القديسة شفقت عليَّ وهذا كلّ ما اعرفهُ»

فاذ ذاك صرخ فاضل: «يا لك من فتى شريف الخصال عبثاً تحاول كتم صنيعك العظيم فانك لم تتأخر عن التفاني في سبيل نجاة مضطهدك. وقد كنتَ تعلم حقَّ العلم ان إخراجهُ من سجنهِ يعرّض حياتك للخطر ومع ذلك لم تنكص عن ذلك رغبةً في ان تصنع خيرًا مع عدوك. فما اعظم قلبك الذي ذلّل امامك كل الموانع

«انك فتى ضعيف لا تقدر على شيء. ومع هذا قدرت على كلّ شيء. لنجاة من كان مبغضاً لك. فاذا عاش فلا ريب انهُ يكون مديونًا بحياتهِ لك. وانا الان أُعظم حنانك وشفقتك كما سيعظّمها هو متى عرف اخلاصك

«وانا ايضاً ايها العزيز قد غمرتني بفضلك ومعروفك فان الايمان كان قد مات في قلبي الّا ان كلماتك قد انعشتهُ فيَّ تدريجًا. ثم ان الانموذج الصالح الذي قدَّمتهُ لي غيَّر قلبي بالتمام والكمال وسأروي لك فيما بعد قصّتي ومنها تعلم مقدار فضلك عليَّ»

امَّا ألريك فلم يدرِ ما يجيب لانهُ كان معتقدًا انهُ لم يفعل سوى الواجب المفروض عليهِ بتخليص هاريس ولذلك اكتفى بان قال لفاضل وهو مبتسم: «أليس ما فعلتهُ من واجبات المسيحيين جميعًا؟»

الفصل السادس

في هاريس

لمَّا نجا ألريك من الغرق سائقاً امامهُ هاريس حتى اوصلهُ الى الشاطئ اقبل يفركهُ فركاً شديدًا حتى عادت اليهِ الحياة تدريجًا واخذ قلبهُ ينبض ورئتاه تتنفَّسان. فحاول بعد ذلك ان يوقظهُ من اغمائهِ فلم يفلح فتركهُ وجعل يتجوَّل في الجزيرة فالتقى في تجوالهِ بفاضل على ماتقدَّم الخبر وبمعاونتهِ امكنهُ ان يعيد المذكور الى الحياة. غير ان الله تعالى كانت لهُ مقاصد اخرى اي هداية ذلك المهاجر اللبناني من قرية الوادي

وما كان غير قليل حتى سرت رجفةٌ خفيفة في جسم هاريس وعلى اثرها فتح عينيهِ ببطء. فوقع بصرهُ على ألريك الذي يبغضهُ فوثب قائمًا غير انَّ قواهُ خانتهُ فخرَّ على الارض مغمى عليهِ. وحينئذٍ ضاعف ألريك وفاضل عنايتهما بهِ واجتهدا في فركهِ الى ان عاد اليهِ رشادهُ وكانت اول كلمة نطق بها شتيمةً قذف بها بمخاطبة ألريك

فلمَّا سمع فاضل كلامهُ ارتعش غضباً فقال الريك: «لا تغضب فان الحمَّى تولّهُ ويا ليت لنا قليلًا من الماء البارد لنسقيهُ ونخفّف ما بهِ من الحرارة. ومتى تحسَّنت حالهُ

أذهب متجوّلًا في هذه الارض لعلّي اجد جدولًا او ساقية تصبُّ في البحر فآتيهُ بشربة ماء. والآن ما لنا الّا ان نبلّل صدغيهِ بماء البحر »

قال هذا واخذ منديلًا ممزّقًا كان معهُ وبلّهُ بمياه البحر ووضعهُ على جبين هاريس فلمّا شعر هاريس بالبرودة صرخ قائلًا: « ماذا تصنع بي ؟ »

فاجاب ألريك: « اريد تخفيف ما بك وتلطيفهُ ويا ليتني اقدر على صنع ما هو اكثر من هذا. ولكن الشاطئ الذي نحن فيهِ مقفر لا شيء فيهِ »

وكان هاريس ينظر اليهِ نظر الغضوب الحاقد. غير انّ ألريك لم يبالِ بشيء من ذلك بل استمرّ يرطّب جبينهُ بماء البحر بعناية عظيمة ولا عناية الام بابنها. وكان فاضل واقفًا على مسافة بعض خطى وهو يتأمّل هذا المشهد المؤثّر. ثمّ قال هاريس: « اني عطشان »

فقال ألريك: « لقد صدق ظنّي فدعني اذهب على الشاطئ لعلّي اجد ماء عذبًا فاعود اليهِ بشربةٍ تلطّف ما بهِ من الحرارة »

فقال فاضل: « بل دعني انا اذهب مكانك »

فاجاب ألريك: « بل انا اذهب لاني شاب خفيف وقد طالما تعوّدتُ تسلّق الصخور والمشي الطويل امّا انت فهذا يتعبك فابقَ هنا واعتنِ بهاريس الى حين رجوعي »

فاذعن فاضل وبقي عند هاريس. امّا هاريس فلمّا رأى ألريك راكضًا بسرعةٍ جعل يتطلّع فيهِ حتى غاب عن بصرهِ ثمّ قال لفاضل: « الى اين يذهب هذا اللعين ؟ »

فاجاب فاضل: « انهُ يذهب ليأتيك بماء ليروي غليلك »

— هو ؟

— نعم هو نفسهُ

ثمّ انّ فاضلًا اخذ يقصّ عليهِ ما بذل ألريك من العناية بهِ لاجل انعاشهِ واعادتهِ الى الحياة. وكان كلّما تقدّم في الخبر تظهر على هاريس علامات التأثّر فما انتهى من كلامهِ حتى اغرورقت عينا هاريس بالدموع

غير انّ ألريك اطال غيابهُ كثيرًا وشقّ انتظارهُ جدًّا على كلٍّ من فاضل وهاريس وبقيا يترقّعان رجوعهُ ساعاتٍ طوالًا فما عاد فتكاثرت ظنونهما وارتبا كلاهما وقدّرا انّ ألريك امّا ان يكون جرى لهُ حادث ذهب بحياتهِ او انّهُ ضلّ مكانهما لدى عودتهِ ولم

يعرف كيف يرجع اليه

وبينا هما يتقلّبان على جمر الانتظار واجمَين ساكتَين طلع فاضل على صخر عالٍ ليرى فشاهد أُلريك آتياً يهتز ومعهُ شخص آخر فسرّي الوجل عن الاثنين. ولمَّا قرب منهما اذا بيده ورقة كبيرة من ورق الشجر مملوءة ماء وخلفهُ ربَّان السفينة كلَنْلند

فاذ ذاك صرخ هاريس قائلًا: « اندرسون. الربَّان اندرسون »

فقال أُلريك انهُ نجا والحمد لله وفرح الاربعة بالنجاة فرحاً ما عليهِ مزيد

ثم انَّ أُلريك لمَّا قدَّم الماء الى هاريس ليشرب لم يتمالك هـذا من ان يقبض على يده مقبِّلًا وسائلًا اياهُ صفحاً وعفواً عمَّا اذاقهُ من المعاملات السيّئة

غير انَّ الريك لمزيد حشمته وادبه وروحهِ المسيحي اجاب قائلًا: « اشرب الآن وبالعكس ينبغي لي انا ان اسألك صفحاً لاني اطلت الغيبة في طلب الماء »

وحينئذٍ اخذ القبطان يخبر قصَّتهُ كيف انهُ اخذ في السباحة عند غرق السفينة وكيف أنهُ وصل الى شاطئ يبعد بضعة اميال عن الراس الذي ساقت الاقدار اليهِ أُلريك. وانهُ اهتمَّ لدى وصولهِ الى البرّ بالاطلاع على حالة الجزيرة فرأى في بادئ الامر نهراً فاقام عند ضفّتهِ حتى قيَّضت العناية الالهيَّة وصول أُلريك اليهِ

ثم انَّ الاربعة جثوا على ركبهم وتلا أُلريك صلاة الشكر للباري تعالى على نجاتهم وذلك بعد ان اخرج صورة البتول القديسة من صدرهِ ودعا الجميع ليقبّلوها فقعلوا بغاية الاحترام مع ان اندرسون وهاريس كانا بروتستانيين

ثم ان الاربعة بعد ان تبادلوا الاخبار عمَّا جرى لكل احد منهم قرَّروا انهم ينتقلون الى ضفَّة النهر بعد ان تشتدّ قوى هاريس (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

بلوغ الارب في احوال العرب

للسيد العلامة محمود شكري آلوسي زاده

الجزء الثاني طبع في مطبعة دار السلام في بنداد عدد صفحاته ٤١٦

سبق لنا ذكر الجزء الاول (راجع المشرق ٢: ٥٢٣) من هذا التأليف النفيس

الذي أكسب صاحبهُ الاديب جائزة المستشرقين المجتمعين في « استوقهولم ». والحقُّ يقال انهُ كتابٌ جامع لما ورد من اخبار العرب المتفرّقة في تصانيف كثيرين من ائمة الكتّاب الاقدمين . ومدار هذا الجزء الثاني على عادات العرب في مناكحهم وحروبهم واخبار مشاهير فرسانهم وتاريخ ملوكهم في اليمن والشام والحيرة وطُرَف من اخبار اديانهم وعباداتهم مع فصول عديدة في وصف احوالهم وخرافاتهم الى غير ذلك من المطالب المفيدة والمباحث الجليلة التي تدلُّ على سعة علم المؤلف بامور العرب وكثرة مطالعاته لتآليفهم. ولا شكَّ انَّ هذا الاثر الخطير كان زاد فائدةً وعظم شأناً لو اشار مؤلفهُ البارع الى الكتب الطبعيَّة او المخطوطات التي نقل عنها ما دوَّنهُ في تأليفهِ مع الدلالة على صفحاتها ليسهل الرجوع الى الاصل. ونجدّد ابداء الامل في ان يُختم الجزء الاخير من بلوغ الارب بفهرس عامّ يقرّب من الادباء الانتفاع بنفائسه الغرَّاء

الروضة الروحية للعيال المسيحية

لحضرة الاب فرنسيس ماريّا فزّا الحلبي الفرنسيسي

طبع في القدس بمطبعة الاراضي المقدَّسة للآباء الفرنسيسيين (ق ١٦ ص ٨٥٤)

قد خصَّص حضرة مؤلف هذا الكتاب قلمهُ لتصنيف التآليف الدينية الآئلة الى هداية النفوس وخلاصها . وهي لعمري نعم الغاية يتوخاها دُعاة الدين ورُعاة الشعوب لانَّ الدين اسُّ كلّ عمران بل حياة كلّ انسان وركن كلّ سلطان . وقد طالعنا كتاب الروضة الروحية فوجدناهُ من احسن ما وُضع الى يومنا هذا لانماش روح التقوى في النفوس وارشاد المسيحيين الى مناجاة الله والتردُّد معهُ تعالى في الصلاة والرياضات الروحيَّة . هذا فضلًا عن وفرة مادَّتهِ ونضارة طبعتهِ وتهذيب عبارتهِ اجزل الله ثواب صاحبهِ

رياضة ثلاثة عشر يوماً

اكراماً للقديس العجائبي انطونيوس البادويّ

لحضرة الاب المذكور في المطبعة عينها (ق ١٦ ص ١٨٤)

انَّ اسم القديس انطونيوس البادويّ قد تعدّى البحار مع الرهبنة الفرنسيسيَّة وانتشر في كلّ انحاء المعمور ونالت اقطارنا الشرقيَّة نصيباً وافياً من التعبُّد لهذا القديس

العظيم تشهد على ذلك صورهُ وتماثيلهُ في اكثر الكنائس. فلتمكين هذه العبادة في القلوب جمع حضرة الاب فرنسيس قرًّا الحلبي هذه الرياضة التقويَّة وترجمها الى العربيَّة ليتَّخذها المؤمنون كاستعداد لعيد وليّ الله ذي الكرامات العديدة والمعجزات الباهرة. ومن اراد الوقوف على حياة هذا القديس فعليهِ بكتاب آخر نفيس وضعهُ سنة ١٨٩٥ حضرة الاب لاونردس النحو الفرنسيسي ووسمهُ بمناط الرغائب في تاريخ قديس العجائب

شذرات

اكتشاف معتبر افادنا الاسد المرقسي ان الأمة القبطيَّة توصَّلت بهمَّة غبطة بطريركها الهمام الى اكتشاف السيزاريوم (Cæsareum) وهو الهيكل القيصريّ الذي كان من ابدع هياكل الاسكندريَّة وحوَّلهُ قسطنطين الملك الى معبد مسيحيّ ثمَّ اصبح مقرًّا لبطاركة الاسكندريَّة. فنهنئ القبط الكاثوليك عن هذا الاكتشاف الخطير الذي ضاعف افراحهم في السنة عينها التي حقَّقت رغائبهم بتجديد الكرسي البطريركيّ الكاثوليكي

عين ثالثة للانسان كانَّ صاحب الهلال ندم على ما كتبهُ فتفنَّداهُ (المشرق ٢ : ١١٠٢) بخصوص الانسان واعينهِ الثلاث وانيابهِ واظافرهِ البهيميَّة فعاد الى ذلك في العدد الاخير (ص٣١٢) مصرِّحًا انَّ هذا من اقوال اصحاب الارتقاء وانهُ لم يتجاوز حدَّ الظنّ. فما لهُ اذن نسب الامر الى العلم وهو محضُ ظنّ او بالاحرى كذب او يقول عنَّا بعدئذٍ اننا ندافع عن الدين مدافعة عمياء. فلا نفرق بين الدين والعلم ؟

اسئلة واجوبة

س سألنا جناب يوسف افرام الشبابي: ١ً ما هو اصل العادة الجارية في لبنان ان تُضرم نار (قبّية) يوم عيد ارتفاع الصليب وفي عيد مار يوحنَّا. ٢ً ما اصل هذه الالفاظ العاميَّة: وُلا . ربسلّي . وقدّيش

سبب ايقاد النار في لبنان يوم عيد الصليب وفي عيد مار يوحنَّا

ج نجيب على (الاول) انَّ ايقاد النار يوم عيد ارتفاع الصليب يرتقي عهدهُ الى ايَّام هرقل الملك لمَّا استرجع الصليب المقدَّس من ايدي الفرس فامر بان يقام لذكر هذا

الواقع عيد حافل. فاخذ نصارى الشرق يظهرون فرحهم بايقاد النيران على قُنن الجبال. واما اضرام النار يوم عيد مار يوحنا فكان جاريًا في بدء النصرانيَّة في كثير من الكنائس. وذلك اشارة الى فرح اهل القديس عند مولدهِ والى قول الرب عن يوحنا المعمدان (يوحنا ٥:٣٥) انهُ كان السراج الموقد المنير. وقيل انَّ النصارى اوقدوا النيران في ذلك اليوم ليبطلوا عادة الوثنيين الذين كانوا يفعلون ذلك في اليوم نفسهِ ذكرًا بانقلاب الشمس الصيفي

ونجيب على (الثاني) انَّ اصل « ولا » ويقال « ولك » من قولهم « ويلًا لك ». امَّا « بسلّي » فاصلها من « بسم الله » راجع المشرق (٢ : ٦٨٢). امَّا « قديش » فاصلها: « قدر ايّ شيء. »

س وسأل جناب الاديب ملحم الخوري عن سبب عدم كبس شباط في سنتنا هذه

لاي سبب لم يُكبس شهر شباط في هذه السنة في التاريخ الغربي

ج فلتراجع مقالة حضرة الاب كولنجت عن اصول الحساب السنويّ الواردة في عددنا هذا

س وسأل حضرة الخوري ميخائيل عيسى الخوري من قصبة بشرّي ما القصود بقصّ شعر المجرمين في اوربَّة قبل ان يُنفذ فيهم حكم الموت كما يذكر عن لويس السادس عشر وغيرهِ كثيرين. هل هذه كانت شريعة عموميَّة ؟

لاي سبب يُقصّ شعر المحكوم عليهم

ج قصّ شعر المجرمين ليس بشريعة جارية في الممالك وانَّما يجرون ذلك في مَن يُحكم عليهم بقطع الرأس او الشنق لئلا يُعيق الشعر انفاذ الحكم ويزيد ألم المجرمين

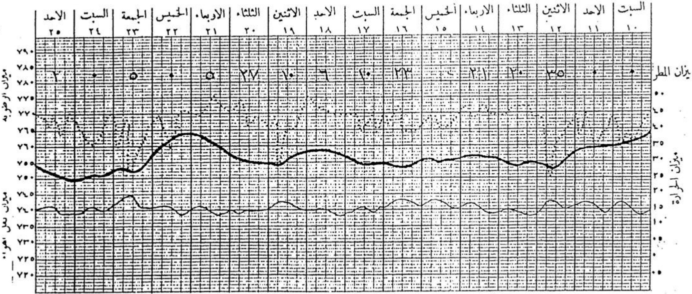
س وسأل جناب انطون افندي جلَّاد من يافا في ايّ يوم من الاسبوع وُلد المسيح

يوم ميلاد المسيح

ج قد بيَّنا سابقًا (مشرق ١ : ٣٣٣) انَّ الرأي الارجح في يوم ميلاد المسيح انَّما هو ٢٥ ك ١ . امَّا يوم الاسبوع الذي وقع فيهِ هذا الامر الجليل فهو يوم الاربعاء. (راجع شروح الاب بتريزي على الاناجيل ج ٣ ص ٢٤٢) ل. ش

(اصلاح غلط) وقع تشويش في صفّ الكتابة التدمريَّة الاولى الواردة في الصفحة ١٥٩ من العدد السابق فطُبعت יהוה הרב יגרם والصواب : יהוה ברח מבני = ص ٢١٩ س ١ « ايها المومنين » والصواب : ايها المؤمنون

قائمة للآثار الجوية   من ١٠ الى ٢٥ شباط   ١٩٠٠



انَّ الخطَّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملمترات